تَفسير إنجيل يُوحَنَّا عدداً بعدَ الآخر

(الإصحاحات ١-٣)

برنامج «في ظلال الكلمة»

بِقَلَم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُرد
تَرجَمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك ان تنسخها لاجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

Mini Bible College

Booklet # 23

The Gospel of John
Verse By Verse
(Chapters 1- 3)

بَرنامَج "في ظِلالِ الكَلِمَة"
كُتَيِّب رَقم ٢٣
تَفسير إنجيل يُوحَنَّا عدداً بعدَ الآخر
(الإصحاحات ١-٣)

بِقَلَم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُورد
ترجمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

الفَصلُ الأوَّل
"نَظرَةٌ إلى إنجيل يُوحَنَّا"

لقد قَدَّمتُ في كُتَيِّبٍ آخر مُلاحَظاتٍ للذين إستَمَعُوا إلى حلقاتِ بَرنامج "في ظِلالِ الكلمة،" التي تُقدِّمُ مُلَخَّصاً لإنجيلِ يُوحنَّا، خلالَ دراسَتِنا الشَّامِلَة للعَهدِ الجَديد. والكُتَيِّبُ الذي أنتُم الآن بِصَدَدِ قراءَتِهِ هُوَ الأوَّلُ من بَينِ سِتَّةِ كُتَيِّباتٍ أُلَخِّصُ فيها مائَةً وثلاثِينَ حلقَةً إذاعِيَّةً، فَسِّرتُ فيها إنجيلَ يُوحَنَّا عدداً بعدَ الآخر.

الرسُول يُوحنَّا هُوَ كاتِبُ هذا الإنجيل. خلالَ قِراءَتي لهذا الإنجيل، بإمكانِي أن أعرِفَ القَصد الذي لأجلِهِ كتبَ يُوحَنَّا، وكذلكَ قَصدِي أنا منَ القِراءة، لأنَّ يُوحَنَّا يُخبِرُنا بِوُضُوحٍ لماذا كتبَ هذا الإنجيلَ الرَّابِع: "وآياتٍ أُخَرَ كَثيرة صنعَ يسُوعُ قُدَّامَ تلاميذِهِ لم تُكتَبْ في هذا الكِتاب. وأمَّا هذه فقد كُتِبَت لتُؤمِنُوا أنَّ يسُوعَ هُوَ المسيح إبنُ الله ولِكَي تكُونَ لكُم إذا آمنتُم حياةٌ بإسمِهِ." يُوحَنَّا ٢٠: ٣٠، ٣١.

"الآيَةُ" هي مُعجِزَةٌ تُبَرهِنُ شَيئاً، أو ما يُمكِنُ أن نُسَمِّيَهُ "بُرهانٌ مُعجِزِيٌّ." يُخبِرُنا يُوحنَّا في هذا الإنجيل أنَّهُ عندما كانَ يسُوع المسيح في عالَمِنا، حقَّقَ الكثير من البراهين المُعجِزيَّة، أو الآيات. وفي العددِ الأخير من هذا السفر، يُخبِرنا يُوحنَّا أنَّهُ لم يُسجِّلْ كُلَّ الآيات، أو البراهين المُعجِزيَّة التي حقَّقها يسُوع. ويُخبِرُنا أنَّهُ لو سجَّلَ أحدُهُم كُلَّ الآيات التي عمِلَها يسُوع، لما إتَّسَعَ العالَمُ بأسرِهِ للكُتُبِ التي كانت ستُكتَبُ عنهُ.

يُخبِرُنا يُوحنَّا أنَّ هذا الإنجيل الرَّابِع هُوَ سِجِلٌّ مُدَوَّنٌ لبَعضِ المُعجِزاتِ التي أنجزَها يسُوع. فيُوحَنَّا شارَكَ معنا سِجِلاً بهذهِ الآيات التي إختارَها، لأنَّهُ أرادَنا أن نُؤمِنَ أنَّ يسُوعَ هُوَ المسيح المَسيَّا، إبن الله. وهُوَ مُقتَنِعٌ تماماً أنَّنا عندما نُؤمِنُ، ستَكُونُ لنا نَوعِيَّةُ الحياة التي يُريدُها اللهُ لِكُلِّ كائنٍ بَشَرِيٍّ. وهُوَ يُسَمِّي هذه النَّوعِيَّة منَ الحياة "الحياة الأبديَّة."

أمرٌ آخَرُ أُحِبُّهُ عن هذا الكاتب، هُوَ أنَّهُ يكتُبُ لنا في ما أُسمِّيهِ "لُغة الرَّمُوز" الجَميلة. فهذا الإنجيل الرَّابِع هُوَ مِثالٌ عمَّا قَصَدَهُ بُولُس عندما

كتبَ يَقُولُ أنَّ "اليَهُودَ يطلُبُونَ آيَةً." (١كُورنثُوس ١: ٢٢) هذا الإنجيل هُوَ مِثالٌ عن لُغَةِ الرُّمُوز الكِتابِيَّة الرُّوحِيَّة التي إستخدَمها اليَهُود.

عندما كتبَ يُوحنَّا سفرَ الرُّؤيا، وصفَ في العددِ الأوَّل من هذا السِّفر الظُّروفَ التي فيها أُعطِيَ لهُ هذا الإعلانُ، بالكلماتِ التالِيَة: "إعلانُ يسُوع المسيح الذي أعطاهُ إيَّاهُ اللهُ لِيُرِيَ عبيدَهُ ما لا بُدَّ أن يكُونَ عن قَريبٍ وبيَّنَهُ مُرسِلاً بيَدِ ملاكِهِ لِعَبدِهِ يُوحنَّا."

إنَّ كَلمَة "بيَّنَهُ" مُثِيرَةٌ للإهتِمام. وما يقُولُهُ يُوحنَّا هوَ أنَّ الشَّكلَ الأدَبِيَّ للإعلان الذي أُعطِيَ لهُ من قِبَلِ اللهِ على جَزيرَةِ بَطمُس كانَ "لُغَةً رَمزِيَّةً رُوحيَّة." ويُضِيفُ الرَّسُولُ بُولُس نظرَةً إضافِيَّةً على مَفهُومِ هذه الكلمة، عندما يكتُبُ عنِ التَّاريخِ العِبريّ قائِلاً: "فهذه الأُمُور جيمعُها أصابَتْهُم مِثالاً وكُتِبَت لإنذارِنا نحنُ الذين إنتَهَت إلينا أواخِرُ الدُّهُور." (١كُورنثُوس ١٠: ١١).

عندما قالَ بُولُس أنَّ كُلَّ هذه الأُمُور التي حدَثَت لليَهُود في التاريخِ الكتابِيّ، حدَثت لتَكُونَ مِثالاً، إستَخدَمَ الكلمة اليُونانِيَّة *Tupos*، التي تعني نمُوذجاً، مثل نمُوذَجَ الطِّباعَة. يُخبِرُنا بُولُس أنَّ أدَبَ الكِتابِ المُقدَّس التَّاريخيّ مَملُوءٌ بأمثِلَةٍ وتحذِيراتٍ تُقدَّمُ بِشكلٍ مجازِيّ. فإذا فتَّشتَ عن معنى كلمة مجاز في القامُوس، تَجِدُ أنَّ "المجازَ هُوَ قِصَّةٌ يتَّخِذُ فيها الأشخاصُ، الأماكِنُ، والأشياء، معنىً عميقاً مُختَلِفاً، غالِباً ما تكُونُ لهُ دلالتُهُ التعليميَّة، الرُّوحِيَّة أو الأخلاقيَّة."

يتكلَّمُ بُولُس الرسُول أيضاً عن أنَّهُ كانَ لإبراهِيم إبنان. يُعتَبَرُ هذا تاريخاً وليسَ خُرافَةً. ولكن بعدَ أن أخبَرنا بُولُس أنَّهُ كانَ لإبراهِيم إبنان، أخبَرنا بُولُس أنَّ هذا مجازٌ. (غلاطية ٤: ٢٢- ٢٤). لهذا، وضعَ بُولُس هذا كسابِقة نتعلَّمُ منها: أنَّهُ في الكتابِ المقدَّس، بإمكانِنا أن نكتَشِفَ حقيقَةً تاريخيَّة تمَّ تعليمُها مجازِيّاً. هذا يعني أنَّ الأشخاص والأماكِن والأشياء المَذكُورَة في مَقطَعٍ كِتابِيٍّ مُعَيَّن - كإبنَي إبراهيم مَثَلاً - إتَّخَذَت معنىً أعمَق، لنتعلَّمَ من خِلالِها أُموراً رُوحيَّة.

هذا ما أقصُدُهُ عندما أقُولُ أنَّ الرَّسُولَ بُولُس كتبَ الإنجيلَ الرَّابِع، كما كتبَ سِفرَ الرُّؤيا، مُستَخدِماً لغُةَ الرُّمُوز اليَهُوديَّة المجازِيَّة. فسِفرُ الرُّؤيا، الذي كتبَهُ يُوحنَّا، هُوَ رِسالَةٌ لشعبِ اللهِ، ولكن بطريقَةٍ مُشفَّرَة

سِرِّيَّة. فإذا أردنا فهمَ هذه الرسالة، ينبَغي أن يكُونَ لدينا المفاتيح التي تَفُكُّ ألغازَ هذه الرسالة المُشفَّرَة. وبمعنى ما، هذا ما يَصحُّ على إنجيلِ يُوحنَّا.

كُتِبَ إنجيلُ يُوحنَّا على مُستَوَيَين. فلديهِ مُستَوىً يستطيعُ الطِّفلُ أن يفهَمَهُ؛ ويستخدِمُ كلماتٍ مُبَسَّطَةً قصيرةً جداً. ويُعتَبَرُ إنجيلُ يُوحنَّا الأبسطَ بينَ الأناجيل الأربَعة. ولكن، عندما تفهَمُونَ أنَّ يُوحنَّا يكتُبُ بِلُغةِ الرُّمُوز هذه، تُدرِكُونَ أنَّهُ في إنجيلِ يُوحنَّا، هُناكَ دائماً ذلكَ المعنى الأعمَق. فهُناكَ دائِماً ذلكَ المعنى الآخر، حيثُ تتَّخِذُ الأشخاصُ والأماكِنُ والأشياء معنىً آخر، يُعَلِّمُنا أُموراً رُوحيَّةً. عندما تفهَمُونَ هذا، تدرِكُونَ عندها أنَّ إنجيلَ يُوحنَّا، حتَّى ولو كُتِبَ بأبسَطِ لُغَةٍ، فهُوَ أعمَقُ إنجيلٍ بينَ الأناجيل الأربَعة. ولكن لكي تَفهَمُوا هذا المعنَى الأعمق، تحتاجُونَ إلى مفاتيحَ تُفَسِّرُ الشِّيفرَة.

إذا قرأتُم إنجيلَ يُوحنَّا، مُدرِكِينَ أنَّ هذا الإنجيل كُتِبَ لِشَعبِ اللهِ بِلُغَةٍ رَمزِيَّةٍ مُوحَىً بها بطريقَةٍ خارِقَةٍ للطبيعة، أو بِلُغَةٍ رمزِيَّةٍ مُشفَّرَة, وإذا رَغِبتُم بأن تحصَلُوا على المفاتِيح التي تَفُكُّ ألغازَ هذه الرِّسالة المُشفَّرَة، سوفَ تُحِبُّونَ إنجيلَ يُوحنَّا بِحَقّ. فقَبلَ أن ننظُرَ إلى إن إنجيلِ يُوحنَّا الرائِع هذا، عدداً بعدَ الآخر، أَوَدُّ أن أُشارِكَ معكُم بعضَ المفاتِيح التي تُفُكُّ ألغازَ الشيفرة الجميلة الموجُودة في إنجيلِ يُوحنَّا.

المِفتاحُ الأوَّلُ الذي أُريدُ أن أُشارِكَكُم بهِ هُوَ الرُّوحُ القُدُس. فبِبَساطَة، ليسَ بإمكانِنا أن نُمَيِّزَ الحقيقَةَ الرُّوحِيَّة، إلا إذا سكنَ الرُّوحُ القُدُسُ في حياتِنا (١كُورنثُوس ٢: ٩- ١٦؛ يُوحَنَّا ١٦: ١٣). يُخبِرُنا الرَّسُول بُولُس عنِ السَّبَب، عندما يكتُبُ قائِلاً أنَّ "الحقيقَةَ الرُّوحيَّة تُمَيَّزُ رُوحِيَّاً." فالإنسانُ غَيرُ الرُّوحِيّ أوِ الطَّبِيعيّ لا يستَطيعُ أن يفهَمَ الحقيقَةَ الرَّوحيَّة، ونتيجَةً لِهذا الواقِع، الإنسانُ غَيرُ الرُّوحي سوفَ يُسَمِّي الحقائِقَ الرُّوحِيَّة الكُبرَى بالجَهالَة، بِحَسَبِ قَولِ بُولُس الرَّسُول. لهذا، فالمِفتاحُ الأوَّل الذي ينبَغي أن نحصلَ عليهِ، إذا أرَدنا أن نَفُكَّ ألغازَ هذا الإنجيل الرَّابِع العَميق، هُوَ أن نتمتَّعَ بِبَساطَةٍ بالرُّوحِ القُدُس كمُعَلِّمٍ لنا.

المِفتاحُ الثَّانِي الذي يَفُكُّ ألغازَ هذا الإنجيلِ الرَّابِع، هُوَ أن نُدرِكَ أنَّ ٩٠ % من مُحتَوى إنجيلِ يُوحنَّا، لا نَجِدُهُ في أناجيل متَّى، مرقُس، ولُوقا. لهذا سُمِّيَت أناجيلُ متى، مرقُس ولُوقا، "بالأناجيل المُتشابَهة النَّظرة." فمُحتَوى هذه الأناجيل مُتطابِقٌ. ولكنَّ ٩٠ % ممَّا هُوَ موجُودٌ في إنجيلِ

يُوحنَّا لا نَجِدُهُ في الأناجيل المُتشابِهة النَّظرة أو المُتطابِقة التي هي أناجيل متَّى، مرقُس، ولُوقا. هذا يعني أنَّ ما كُنَّا سنعرِفهُ عن هذه التسعين بالمائة من الأُمور التي نقرَأُها في إنجيلِ يُوحنَّا، لما كانَ مُمكِناً لو لم يكتُبْ يُوحنَّا هذا الإنجيل الرَّابِع.

مِفتاحٌ ثالِث ينبَغي أن يكُونَ لدينا عندما نقتَرِبُ من الإنجيلِ الرَّابِع هو أن نُدرِكَ أنَّهُ السِّفر الكِتابِيّ الوَحيد المُوجَّه لِغَيرِ المُؤمنين: أخبَرَنا الرسُول بُولُس بإقتِناعٍ عميق، أنَّ "كُلَّ الكتاب هُوَ مُوحَىً بهِ من الله، ونافِعٌ للتعليمِ والتوبيخ، للتقويمِ والتأديب الذي في البِرّ، لكَي يكُونَ إنسانُ اللهِ كامِلاً، مُتَأهِّباً لِكُلِّ عملٍ صالِحٍ." بمعنىً ما، يُخبِرُنا هذا المقطع الذي قرأناهُ من ٢تيمُوثاوُس ٣: ١٦، و١٧، عن القصد الذي من أجلِهِ دُوِّنَ الكتابُ المقدَّس بكامِلِه. فالقصدُ من الكتابِ المقدَّسِ بكامِلِهِ هُو أن يكُونَ إنسانُ اللهِ كامِلاً، مُتأهِّباً لكُلِّ عملٍ صالِحٍ أرادَهُ لهُ اللهُ الآبُ.

هذا يعني أنَّهُ تُوجَدُ رِسالَةٌ واحِدَةٌ في الكتابِ المُقدَّس لِغَيرِ المُؤمن: أن يَتُوبَ ويُؤمِنَ بالإنجيل. وعندما يتُوبُ غيرُ المُؤمِنِ ويُولَدُ ثانِيَةً، يُعطيهِ اللهُ سِتَّةً وسِتِّينَ سِفراً مُقَدَّساً، بما في ذلكَ إنجيل يُوحَنَّا، التي ستُعَلِّمُهُ، وتُوَهِّلُهُ، وتُكَمِّلُهُ لِكُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ يُريدُه اللهُ أن يعمَلَهُ.

وسوفَ نرى أنَّهُ يُوجَدُ الكَثيرُ منَ الحقيقَةِ التَّعَبُّدِيَّة في إنجيلِ يُوحَنَّا، الذي يحتَوي على الكَثيرِ منَ المَنفَعَةِ للمُؤمن. ولكنَّ هذا السِّفرَ مُوجَّهٌ بِوُضُوحٍ لِغَيرِ المُؤمن بِهَدَفِ أن يُصبِحَ مُؤمِناً. هذا يجعَلُ من إنجيلِ يُوحَنَّا سِفراً فَريداً في لائِحَةِ أسفارِ الكتابِ المُقدَّس القانُونيَّة. هذا القَصدُ التَّبشيريُّ من إنجيلِ يُوحَنَّا هُوَ مِفتاحٌ آخر لفَهمِنا لهذا الإنجيل العَظيم.

حُجَّةُ إنجيل يُوحَنَّا الرَّئيسيَّة

هُناكَ مِفتاحٌ آخَرُ علينا أن نتأمَّلَ بهِ عندما نقتَرِبُ من إنجيلِ يُوحنَّا، وهُوَ أن نُدرِكَ أنَّ هُناكَ تسلسُلاً منطِقيّاً عبرَ إنجيلِ يُوحنَّا بكامِلِهِ. فأناجيلُ متى، مرقُس، ولُوقا هي سِيَرُ حياةٍ فريدة لشخصِ المسيح. ولِكُلٍّ منها هدَفُهُ، ولكن ليسَ فيها تسلسُلٌ مَنطِقِيٌّ بنفسِ الطريقة التي نجِدُها في الحُجَّةِ الرَّئيسيَّةِ في إنجيلِ يُوحنَّا.

هذه الحُجَّة مذكُورَةٌ في هذه الأعداد التي قرأناها من نهايَةِ الإصحاح العشرين من إنجيل يُوحنَّا، حيثُ أخبَرنا كاتِبُ هذا الإنجيل أنَّهُ دوَّنَ لنا هذه

الآيات التي صنعها يسُوع، "لكَي نُؤمِنَ أنَّ يسُوعَ هُوَ المسيح، إبن الله، ولكي تَكُونَ لنا إذا آمنَّا حياةٌ بإسمِهِ." (يُوحَنَّا ٢٠: ٣٠، ٣١) عندما تَكتَشِفُ هذه الحُجَّة المَنطِقيَّة، خاصَّةً ذلكَ الجزء من الحُجَّة الذي يُخبِرُنا أنَّ يسُوعَ هُوَ المسيح، المَسيَّا، إبن الله، والتي تمَّ تقديمُها عبرَ إنجيل يُوحنَّا بأكمَلِهِ، تكُونُ قد إكتَشَفتَ مفتاحاً آخرَ لهذا الإنجيلِ العظيم.

ثلاثَةُ أسئِلَة

بِناءً على حقيقَةِ أنَّ يُوحنَّا أعطانا بِوُضُوحٍ تعريفاً لهدفِهِ من كتابَةِ هذا الإنجيل، هُناكَ مفتاحٌ آخر سيُساعِدنا بينما نقرأُ عبرَ إنجيل يُوحنَّا. هُناكَ ثلاثَةُ أسئِلَةٍ سوفَ يُجيبُ يُوحنَّا عنها عبرَ إنجيلِه. ففي كُلِّ إصحاحٍ من إصحاحاتِ هذا الإنجيل، سوفَ يُجيبُ يُوحنَّا على هذه الأسئِلة الثلاثة. السؤالُ الأوَّلُ هُو: "من هُوَ يسُوع؟" فيُوحنَّا يُخبِرُنا عبرَ كُلِّ صفحاتِ إنجيلِهِ عمَّن هُوَ يسُوع.

سُؤالٌ ثانٍ يُجيبُ عليهِ يُوحنَّا هُو: "ما هُوَ الإيمانُ؟" وماذا يعني أن تُؤمِنَ بهذه الأُمور عن يسُوع؟ فيُوحنَّا لن يقولَ لنا فقط بأنَّهُ علينا أن نُؤمِنَ، بل ويُخبِرُنا أيضاً ماذا يعني الإيمان. ويُخبِرُنا ما هُوَ الإيمانُ. ويُظهِرُ لنا ويُخبِرُنا بِعِدَّةِ طُرُقٍ رائعةٍ ما هُوَ الإيمان.

ثُمَّ، السؤالُ الثالِثُ الذي نجدُ يُوحنَّا يُجيبُ عليهِ بإستِمرار، إصحاحاً بعدَ الآخر في هذا الإنجيل هُو: "ما هي الحياة؟" ما هي هذه الحياةُ الأبديَّةُ التي تُخبِرُنا عنها يا يُوحنَّا؟ سوفَ تجدُ هذا السؤال يُجابُ عليهِ مراراً وتِكراراً في كُلِّ إصحاحٍ بعدَ الآخر من هذا الإنجيلِ العظيم.

لهذا، بينما تقرَأُ إنجيلَ يُوحنَّا، ستُشكِّلُ هذه الأسئِلةُ الثلاثَةُ وأجوبتُها مِفتاحاً هامَّاً يَفُكُّ ألغازَ الرسالةِ المُشفَّرة في هذه اللُّغةِ الرَّمزِيَّة التي ستَجدُها في إنجيلِ يُوحنَّا. إقرأْ إنجيلَ يُوحنَّا، إصحاحاً بعدَ الآخر، باحِثاً عن أجوبَةٍ على هذه الأسئلة الثلاثة: من هُوَ يسُوع؟ ما هُوَ الإيمان؟ وما هِيَ الحياة؟

مَتحَفُ اللَّوحاتِ الرُّوحيَّة

نقرَأُ أنَّ بعضَ اليُونانِيِّين إقتَرَبُوا من الرَّسُولِ فِيلبُّس قائِلين لهُ، "يا سَيِّد، نُريدُ أن نرى يسُوع." (يُوحَنَّا ١٢: ٢١) يُشيرُ طَلَبُ هؤُلاء اليُونانِيِّين إلى مِفتاحٍ حَيَوِيٍّ آخر لِفهمِ وتقديرِ أعمَق إنجيلٍ بينَ الأناجيل الأربَعة: إقرأْ إنجيلَ يُوحَنَّا طالِباً أن ترى يسُوع.

والآن، أَوَدُّ أن أُشارِكَكُم بالمِفتاحِ الأخير في إطارِ هذه المُقدِّمَة لإنجيلِ يُوحنَّا، وهُوَ التالي: أنَّ الإصحاحات الأحد والعِشرين في هذا الإنجيل هي مثل معرَضٌ لِلفَنِّ الرُّوحِيّ. تصوَّرُوا أنَّ إنجيلَ يُوحنَّا هُوَ معرَضٌ لِلفَنِّ الرُّوحِيّ، وكُلُّ إصحاحٍ من إصحاحاتِهِ هُوَ بمثابَةِ قاعَةٍ جديدة في معرِضِ الفَنِّ الرُّوحِيِّ هذا. وعلى جُدرانِ (أي أعدادِ) هذه القاعات (أي الإصحاحات)، تَجدُونَ صُوراً رائِعَةً للرَّبِّ يسُوع، بالطبع بالمعنى المجازِيّ للكلمة. لقد قرأتُ إنجيلَ يُوحنَّا مُستَخدِماً وُجهَةَ النَّظَرِ هذه كمِفتاحٍ لقراءَتي لهذا الإنجيل. ولقد تأمَّلتُ بطريقي عبرَ إنجيل يُوحنَّا هذا، وتوصَّلتُ إلى الصُّوَرِ الجميلة التالية عن شخصِ المسيح:

في الإصحاحِ الأوَّل: إنَّهُ الكلمة، الكلمة الذي صارَ جسداً، إنَّهُ الخالِق، إنَّهُ الحَياة والنُّور، إنَّهُ النُّورُ الحَقيقيُّ الذي يُنيرُ كُلَّ إنسانٍ والذي جاءَ إلى هذا العالم، إنَّهُ مُعطِي القُوَّة ليُصبِحَ الناسُ أبناءَ الله، إنَّهُ الحمَلُ الذي جاءَ ليرفَعَ خطيَّةَ العالم، إنَّهُ المَمسُوحُ، إنَّهُ إبنُ الله، المَسيَّا، يسُوع الناصِري، الذي كانَ يُظَنُّ أنَّهُ إبنُ يُوسُف، إنَّهُ مَلِكُ إسرائيل شَعبِ اللهِ القَديم ، إنَّهُ إبنُ الإنسان، المُعَلِّمُ الذي عَمِلَ بِما علَّمَهُ.

في الإصحاحِ الثاني: سوفَ نجِدُهُ كمُعطِي الفَرَح، الذي يُحِبُّ بيتَ الآب، والذي يُطَهِّرُ هيكَلَ الله، البُرهانُ الحَيُّ عن مِصداقِيَّةِ أقوالِهِ عن نفسِهِ، الشخصُ المُلتَزِم الذي ألزَمَ نفسَهُ بالذين إلتَزمُوا تجاهَهُ، وهُوَ الذي يقدِرُ أن يُحَوِّلَ الماءَ خمراً.

في الإصحاحِ الثالث: تَجِدُهُ المُعلِّمَ الذي جاءَ من الله، المُعَلِّمَ صانِع المُعجِزات، الإنسان السماوِيّ، المَرفُوع، إبن الله الوَحيد، حلّ الله الوَحيد، والمُخلِّص الوَحيد، والمِعيارُ المُطلَقُ للخلاص، وهُوَ العَريسُ المُنتَظَرُ للكنيسة.

في الإصحاحِ الرَّابِع: إنَّهُ يَهُودِيٌّ لا غِشَّ فيهِ، وهُوَ الرَّجُلُ المُتعَب، إنَّهُ هِبَةُ الله، مُعطي المياه الحَيَّة رُغمَ أنَّهُ لا دَلوَ لهُ، إنَّهُ المُرشِد الذي يمنَحُ النُّصحَ في لقاءاتِهِ، ويُرشِدُ الناس، إنَّهُ النَّبيُّ، المَسيَّا، الرَّجُل الذي أخبَرَ المرأةَ السامِرِيَّةَ كُلَّ ما فعلتْهُ، إنَّهُ رَبُّ الحصاد، مُخَلِّصُ العالم، مُعطي الحياة، ومُعطي الإيمان.

في الإصحاح الخامِس: نجدُ يسُوع الطَّبيبَ العَظيم الذي لا يستطيعُ أن يتجاوَزَ جمعاً مريضاً ويتجاهَلَهُ. إنَّهُ إنسانٌ كانَ مُستَعِداً عن سابِقِ تَصَوُّرٍ وتَصمِيم أن يكسُرَ نامُوسَ مُوسَى، لكي يدخُلَ في نِقاشٍ حولَ النامُوسيَّة. إنَّهُ ذلكَ الشخص الذي قالَ أنَّهُ مُعادِلٌ لله. إنَّهُ دَيَّانُ كُلِّ الأرض. إنَّهُ القِيامة. إنَّهُ مِفتاحُ كُلِّ الأسفارِ المُقدَّسة.

في الإصحاحِ السادِس: نَجدُ أنَّهُ خُبز الحياة، وهُو الذي يعمَلُ عملاً ذا مغزَى.

في الإصحاحِ السابِع: إنَّهُ المُعلِّمُ الذي أتى من الله حامِلاً تعليمَ الله. إنَّهُ المُتكلِّمُ الحَيَويّ الديناميكيّ، الذي أُعجِبَ بهِ جُنُودُ رُؤساءِ الكَهنَةِ لدَرَجَةٍ أنَّهُم نَسُوا لماذا أتُوا لإلقاءِ القَبضِ عليهِ. وعندما رَجَعُوا بِدُونهِ كَسَجينٍ لهُم، كانَ تفسيرُهُم الوَحيد: "لم يتكلَّمْ إنسانٌ قَطّ مثل هذا الإنسان!" (يُوحَنَّا ٧: ٤٤-٤٦). إنَّهُ مصدَرُ أعظمِ إختِبارَين في الحياة: وِلادَتُنا الجديدة، وصَيرُورَتُنا وَسيلَةً من خلالِها تتدفَّقُ أنهارُ المياهِ الحيَّةِ للآخرين. (يُوحَنَّا ٧: ٣٧- ٣٩)

في الإصحاح الثامِن: نجدُهُ صديقَ الخُطاة، نُور العالم، الإنسان الذي لَديهِ إتِّجاهٌ في الحَياة، والذي دائماً يعمَلُ ما يُرضِي الآب، والحَقّ الذي حرَّرَ الناسَ فعلاً. إنَّهُ الأبديُّ الذي قبلَ أن يَكُونَ إبراهيم هُوَ كائِن.

في الإصحاحِ التاسِع: نجدُ أنَّهُ الإنسانُ الذي ينبَغي أن يعمَلَ أعمالَ أبيهِ، وهُوَ الرَّب الذي يقبَلُ العِبادة من إنسانٍ كانَ قد شفاهُ للتَّوّ. إنَّهُ النُّورُ الذي يمنَحُ البَصَرَ لِلعُميانِ رُوحيَّاً، والذي يَكشِفُ العَمَى الرُّوحِي في أُولئكَ الذين لا يُصَدِّقُونَ بأنَّهُ عُميانٌ.

في الإصحاحِ العاشِر: إنَّهُ الراعي الصالِح، بابُ الخِراف، والرَّاعي الذي يَسُود.

في الإصحاح الحادِي عَشَر: نجدُ أنَّهُ القِيامَةُ والحَياة. إنَّهُ المَسيحُ العَطُوف. إنَّهُ حَلَّالُ أكثَر مُشكِلَتَين مُستَعصِيَتَينِ في الحياة، المَرَض والمَوت.

في الإصحاح الثانِي عشر: نجدُ أنَّهُ حَبَّةُ الحِنطَة التي تَقَعُ في الأرضِ وتَمُوتُ، وتستطيعُ أن تُمَجِّدَ اللهَ بإعطاءِ حصادٍ وافِرٍ منَ الثِّمار. إنَّهُ المسيحُ المُمَجَّد، المَعبُود والمَشهُور.

في الإصحاح الثَّالِث عشر: نجدُ أنَّهُ يسُوع الخادِم المُتواضِع، الذي أخذَ دَورَ العَبد، وغسلَ أرجُلَ رُسُلِهِ. إنَّهُ المسيح المُغادِر الذي يُصدِرُ وَصِيَّةً جديدَةً تخلُقُ مُجتَمعاً جديداً.

في الإصحاح الرَّابِع عشَر: هُوَ المسيحُ الآتي، وهُوَ الطريق والحَقّ والحَياة. بإمكانِكَ القول أيضاً أنَّهُ المسيح العقائِديّ، لأنَّهُ ليسَ فقط الطريق و الحَقّ والحياة، ولكنَّهُ يُخبِرُنا أن لا أحد يأتي إلى الآب إلا بهِ. وهُوَ أيضاً المسيحُ الذي يُعِدُّ مكاناً سيأخُذُ إليهِ أتباعَهُ لِيَكُونُوا معَهُ إلى الأبد. إنَّهُ المَسيحُ المُعَزِّي الذي يَعِدُ بأن يُرسِلَ شَخصاً وسَلاماً لأتباعِهِ لكي لا تَضطَّرِبَ قُلُوبُهُم.

في الإصحاح الخامِس عشَر: نجدُ أنَّهُ الكرمة التي تبحَثُ عن أغصان. إنَّهُ المسيح المُعطي الحياة، الدَّيَّانُ والمَكرُوهُ والذي يختار.

في الإصحاح السَّادِس عَشَر: نجدُهُ المَسيحَ الذي يَعِدُ بإرسالِ الرُّوحِ القُدُسِ لِيُعَزِّيَ ويُعَلِّمَ تلاميذَهُ. إنَّهُ المسيحُ المَترُوك، ولكنَّهُ أيضاً المَسيحُ المُنتَصِر.

في الإصحاح السَّابِع عشَر: إنَّهُ رَئيسُ الكَهَنَةِ الأعظَم، المسيحُ المُتَشَفِّعُ لأجلِ الرُّسُل ولأجلِ أُولئِكَ الذي سيُؤمِنُونَ بهِ من خلالِ رُسُلِهِ.

في الإصحاح الثَّامِن عَشَر: نجدُهُ المسيحَ الشَّاهِدَ الأمِين الذي وُلِدَ في هذا العالم لِيَشهَدَ لِلحَقّ. إنَّ المَسيحُ الذي تمَّتْ خِيانتُهُ، المسيحَ البَريءَ الذي كانَ قَليلَ الشعبيَّة.

في الإصحاح التَّاسِع عَشَر: نجدُ المسيحَ المَصلُوب والمسيحَ المَدفُون.

في الإصحاح العِشرين: نجدُ بالطبعِ المسيحَ القائِمِ من الموت.

في الإصحاح الحادِي والعِشرين، نجدُهُ المسيحَ مُعطِي المأمُوريَّةَ عُظمى.

فعلى أساسِ قَصدِ يُوحنَّا من كتابَةِ إنجيلِهِ، كما أعلَنَ عنهُ في يُوحَنَّا ٢٠: ٣٠، ٣١، علينا أن نتوقَّعَ أن نَجِدَ عبرَ إنجيل يُوحنَّا الكثيرَ من الأجوبَة على السؤال: "من هُوَ يسُوع؟" وإذ نبدَأُ بِدِراسَةِ إنجيل يُوحَنَّا معاً، أطلُبُ منكُم أن تَقُومُوا بالمُهِمَّةِ التَّالِيَة: إقرَأُوا إنجيلَ يُوحنَّا وفَتِّشُوا على صُورَةٍ كلامِيَّة ليسُوع المسيح في كُلِّ إصحاحٍ من هذا الإنجيل.

ثُمَّ تأمَّلُوا بِرُوحِ الصَّلاةِ من خلالِ قراءةِ إنجيلِ يُوحَنَّا، مُتَفكِّرينَ بالصُّوَرِ التي وجدتُمُوها عنِ يسُوع المسيح في هذا الإنجيل. وحاوِلُوا أن تَتَذَكَّرُوا ولَو صُورَةً واحدَةً عنِ المسيح من كُلِّ إصحاحٍ من إصحاحاتِ إنجيلِ يُوحنَّا. وبينما تكتَشِفُونَ هذه الأجوبَة على السُّؤال "من هُوَ يسُوع؟"، في إصحاحٍ بعدَ الآخر من هذا السفرِ الرائع، تكُونُونَ قد شكَّلتُم متحفاً للفَنِّ الرُّوحِيّ، الَّذي يُظهِرُ لكُم يسُوع بِعِدَّةِ طُرُقٍ رائِعةٍ وجميلة.

عندما سُئِلت الأُمّ تيريزا، "ماذا يعني لكِ يسُوع؟" كانَ جوابُ الأُمّ تيريزا يُشبِهُ إلى حَدٍّ كَبير معرضَ الفَنِّ الرُّوحِي في إنجيلِ يُوحنَّا. كانَ من السَّهلِ جداً بالنسبَةِ لها أن تُعطيَ لائحةً طَويلة، نابِعة من أعماقِ قَلبِها، وتحتَوي على العشرات من الصُّور الكلاميَّة الجميلة، ليسَ فقط من إنجيلِ يُوحَنَّا، عمَّا كانَ يعني لها يسُوع المسيح. وهكذا أعطَت أوصافَ المسيحِ الشَّخصِيّ كما عرفَتهُ، مُستَشهِدَةً بأعدادٍ كتابِيَّةٍ إبتِداءً من سفرِ التَّكوين إلى الرُّؤيا.

أتساءَلُ عمَّا هي نظرتُكَ عن يسُوع؟ ومن هُوَ يسُوعُ بالنسبَةِ لكَ؟ وماذا يعني لكَ؟ من خِلالِ التحرُّكِ عبرَ إنجيلِ يُوحنَّا، إصحاحاً بعدَ الآخر، والإجابَة على السؤال، "من هُوَ يسُوع؟"، سوفَ تكتَشِفُ أنَّهُ من المُمكِنِ أن تتعرَّفَ على الشخصِ الذي خَلَّصَكَ، وأن تكتَشِفَ كُلَّ ما يُريدُ أن يكُونَهُ بالنِّسبَةِ لكَ.

السُّؤالُ الثَّاني الذي نَجدُ جواباً عليهِ عبرَ إنجيلِ يُوحنَّا هُو، "ما هُوَ الإيمان؟" لاحِظُوا في إنجيلِ يُوحنَّا، كيفَ يُجابُ على هذا السؤال بطُرُقٍ جَميلَة. فيُوحنَّا لا يُخبِرُنا فقط أنَّهُ من المُهِمِّ أن نُؤمِنَ لكي نحصلَ على الحياةِ الأبديَّة، بل ويُخبِرُنا أيضاً عمَّا يعنيهِ الإيمان. ففي الإصحاحِ الأوَّلِ من هذا الإنجيل، المرَّةُ الأُولى التي إلتقى فيها سِتَّةٌ منَ الرُّسُل بِيَسُوع، تجدُونَ أجوبَةً عَمَلِيَّةً على السؤال، "ما هُوَ الإيمان؟" إثنانِ من هَؤُلاء التلاميذ كانا من تلاميذِ يُوحَنَّا المعمدان، الذي قالَ لهُما أن يتبَعا يسُوع.

وكانا يتبَعان يسُوع حرفِيَّاً على الطريق، فإلتَفَتَ إليهِما وسألَهُما، "ماذا تَطلُبان؟" فأجابا بما معناهُ، "يا مُعَلِّم، أينَ تسكُنُ؟" فأجابَهُم، "تعالَيا وأنظُرَا." ونقرَأُ، "فأتَيا ونَظَرَا حيثُ كان يسكُنُ يسُوع، ومكثا معَهُ في ذلكَ اليوم." وتُتابِعُ القصَّةُ لِتَقُول أنَّهُ منذُ تلكَ الساعة عاشا من أجلِهِ وماتا من

أجلِهِ، بسبب ما رأَياهُ عندما إتَّخذا الإلتِزام بالنَّظَرِ إلى حيثُ كانَ يمكُثُ يسُوع.

بِحَسَبِ هذا الإيضاح عمَّا يعنيهِ الإيمان، أن نُؤمن يعني أن نأتيَ ونَنظُرَ؛ أن نُؤمن يعني أن نمكُثَ معَهُ؛ أن نُؤمِنَ يعني أن نطرَحَ عليهِ السُّؤال، "في مُعتَرَكِ الحَياة، وحيثُ تأخُذُ الحياةُ مجراها، هل يَهُمُّ ما تُعَلِّمُ بهِ؟" عندما تُطَبِّقُونَ شَخصِيَّاً قِيَمَ وتعاليمَ يسُوع جميعها على حياتِكُم، ستكتَشِفُونَ بالحقِيقَةِ ما هُوَ الإيمانُ، بِحَسَبِ الرسول يُوحنَّا. فعبرَ ما تبقَّى من هذا الإنجيل، سيكُونُ هُناكَ العشراتُ من الأجوِبَة الجميلة على السؤال: "ما هُوَ الإيمان؟"

السُّؤالُ الثَّالِثُ الذي قُلتُ أنَّهُ عليكُم أن تَجِدُوا جَواباً عليهِ في إنجيلِ يُوحنَّا، مَبنِيٌّ على قَصد يُوحنَّا المُعلَن من كتابتِهِ الإنجيل، ونَجِدُهُ مُجاباً عليهِ بشكلٍ جميلٍ عبرَ هذا الإنجيل. السؤالُ هُو: "ما هِيَ الحياة؟" ما هي هذه الحياةُ الأبديَّة التي يتكلَّمُ عنها يُوحنَّا؟ فما هِيَ تلكَ الميزة من الحياة التي أرادَها لنا اللهُ، التي لا نحصَلُ عليها إلا إذا آمَنَّا بيسُوع المسيح، والتي يُسمِّيها يُوحنَّا "الحياة الأَبَديَّة؟" سوفَ نجِدُ أجوِبَةَ يُوحَنَّا الجميلة على هذا السُّؤالِ الثَّالِث عبرَ إنجيلِ يُوحنَّا. مثلاً، الحياةُ الأبديَّةُ هي مثلُ شرابٍ يُمكِنُهُ أن يُروي ظمَأَكَ مرَّةً وإلى الأبد، طوالَ حياتِكَ، وهي أيضاً مثل الخُبز الذي يُمكِنُ أن يُشبِعَ جُوعنا طوالَ حياتِنا.(يُوحَنَّا ٤: ١- ٤٢؛ ٦: ٤٨- ٥١)

فأنا أدعُوكُم لكي تدرُسُوا معي إنجيلَ يُوحنَّا، عدداً بعدَ الآخر، إبتداءً من الإصحاحِ الأوَّل وحتَّى نهايَة الإصحاح الحادي والعِشرين. وبينما ندرُسُ هذا الإنجيلَ الرَّابِعَ معاً، دَعُوا هذا يكُونُ أحدَ المفاتيح التي تَفُكُّ لُغزَ هذه الرسالة الرائِعة لهذا السفر: فتِّشُوا عنِ الجواب على هذه الأسئِلة الثلاث عبرَ هذا الإنجيل بأكمَلِهِ: من هُوَ يسُوع؟ ما هُوَ الإيمان؟ وما هِيَ الحياة؟

الفَصلُ الثَّانِي
الكَلِمَةُ الحَيَّة
"يُوحنَّا ١: ١- ١٨"

"في البَدءِ كانَ الكلمة والكلِمَةُ كانَ عندَ الله وكانَ الكلمةُ الله. هذا كانَ في البَدءِ عندَ الله. كُلُّ شَيءٍ بهِ كانَ وبِغَيرِهِ لم يكُنْ شَيءٌ مِمَّا كان. فيهِ كانت

الحَياةُ والحَياةُ كانت نُور النَّاس. والنُّورُ يُضيءُ في الظُّلمَةِ والظُّلمَةُ لم تُدرِكْهُ. كانَ إنسانٌ مُرسَلٌ من الله إسمُهُ يُوحنَّا. هذا جاءَ لِلشَّهادَة لِيَشهَدَ للنُّور لكَي يُؤمِنَ الكُلُّ بِواسِطَتِهِ. لم يكُنْ هُوَ النُّور بَل لِيَشهَدَ للنُّور. كانَ النُّورُ الحَقِيقيُّ الذي يُنيرُ كُلَّ إنسانٍ آتِياً إلى العالم. كانَ في العالم وكُوِّنَ العالَمُ بهِ ولم يعرِفْهُ العالم. إلى خاصَّتِهِ جاءَ وخاصَّتُهُ لم تقبَلْهُ. وأمَّا كُلُّ الذين قَبِلُوهُ فأعطاهُم سُلطاناً أن يَصيرُوا أولادَ الله أي المُؤمنُونَ بإسمِهِ. الذين وُلِدُوا ليسَ من دَم ولا من مَشيئَةِ جَسَدٍ ولا من مَشيئَةِ رَجُلٍ بَلْ منَ الله. والكَلِمَةُ صارَ جسداً وحَلَّ بينَنا ورأينا مجدَهُ مجداً كما لِوَحِيدٍ من الآب مَمْلُوءاً نِعمَةً وحَقّاً. يُوحنَّا شَهِدَ لهُ ونادَى قائِلاً هذا هُوَ الذي قُلتُ عنهُ إنَّ الذي يأتي بعدِي صارَ قُدَّامي لأنَّهُ كانَ قَبلِي. ومن مِلئِهِ نحنُ جَميعاً أخذنا ونِعمَةً فوقَ نعمة. لأنَّ النَّامُوس بمُوسى قد أُعطِيَ. أمَّا النِّعمَةُ والحَقُّ فَبِيَسُوع المسيح صارا. اللهُ لم يَرَهُ أحدٌ قَطّ. الإبنُ الوَحيدُ الذي في حُضنِ الآب هُوَ خَبَّر."

في مُقَدِّمَةِ دراسَتِنا لهذا الإنجيل، حاولتُ أن أضعَ أمامَكُم إنجيلَ يُوحنَّا في إطارِهِ الصحيح، وذلكَ بمُشارَكَتِكُم ببعضِ المفاتيح التي أعتَقِدُ أنَّها ستفتَحُ أمامَكُم رسالةَ الإنجيل الرَّابِع الفَريدة. في هذا الفَصل، أوَدُّ أن أبدَأَ دِراسَةَ هذا الإنجيل، عدداً بعدَ الآخر.

قالَ أحدُ وُعَّاظِ الرِّيف المَشهُورين، "عندما تُلقِي عِظَةً، عليكَ أن تعملَ ثلاثَةَ أشياء: أوَّلاً، عليكَ أن تَقُولُ للناس ما ستُخبِرُهم بهِ. ثُمَّ عليكَ أن تُخبِرَهُم. ثُمَّ عليكَ أن تُخبِرَهُم بما سبقَ وأخبَرتَهُم بهِ!"

بمعنى ما، يَصِفُ هذا التَّعليمُ طريقَةَ تنظيم إنجيل يُوحنَّا. فالأعدادُ الثمانِيَة عشر الأُولى في هذا الإنجيل تُسمَّى من قِبَلِ المُفسِّرين بالمُقدِّمَة، حيثُ يُخبِرُنا الرَّسُولُ يُوحنَّا بما سيقُولُهُ لنا. ثُمَّ إبتداءً منَ العدد ١٩ منَ الإصحاحِ الأوَّل، وُصُولاً إلى العدد ٢٩ منَ الإصحاحِ العِشرين، يُخبِرُنا يُوحَنَّا بأخبارِهِ. ثُمَّ، في الأعداد ٣٠ و٣١ من الإصحاحِ العشرين، يُخبِرُنا يُوحَنَّا بما أخبَرَنا بهِ. تُخبِرُنا هذهِ الأعدادُ المِفتاحِيَّةُ من هذا الإنجيل لماذا أخبَرنا يُوحنَّا بما أخبَرنا بهِ.

بِطريقَةٍ ما، كُلُّ ما سيُخبِرُنا بِهِ إنجيلُ يُوحنَّا في الإصحاحات الأحد والعِشرين، يُقدَّمُ لنا بِشكلٍ مُوجز في هذه المُقدِّمةِ الصغيرةِ التي يُعطينا إيَّاها يُوحنَّا في الأعداد الثمانِيَة عشر الأُولى من إنجيلِهِ. في هذه الأعداد

الثمانِيَة عشر الأُولى، يُخبِرُنا يُوحنَّا بما سيقُولُهُ لنا. يُخبِرُنا أنَّ الكلمة كانَ عندَ الله في البَدءِ، وأنَّ الكلمة كانَ الله. عندما يُشيرُ يُوحنَّا إلى "الكلمة"، كانَ يقصُدُ يسُوع المسيح، الذي كانَ منذُ البدءِ معَ اللهِ، وكانَ الله.

كما أشَرتُ مُسبَقاً في المُقدِّمَة، هذا الإنجيلُ هُوَ بِجُملتِهِ عن يسُوع المسيح. لذلكَ عندما نقرَأُ إنجيلَ يُوحنَّا، علينا أن نقتَرِبَ منهُ باحِثين عن المسيح. في العددِ الأوَّلِ من هذا الإنجيل، عندما يُشيرُ يُوحَنَّا إلى يسُوع المسيح كالكَلمة، يُقدِّمُ بذلكَ أوَّلَ صُورَةٍ ليسُوع.

فماذا يَقصُدُ الرَّسُولُ يُوحنَّا عندما يُشيرُ إلى يسُوع المَسيح كالكلمة؟ الكلمة هي وسيلَةُ نقلٍ للتعبير. فإذا كانت لديَّ فكرَةٌ في عقلي وأردتُ أن أُشارِكَ هذه الفكرة معَ عقلِكَ، فإنَّ أداةَ النقل التي تنقُلُ الفكرَةَ من عقلي إلى عقلِكَ هي الكلمة.

الفكرة التي يُشيرُ إليها يُوحنَّا هُنا هي أنَّهُ في البِدايَة، تماماً كما يُخبِرُنا سفرِ التَّكوين، كانَ اللهُ منذُ البَدء. ولكن، في هذا الوصف المُوحَى بهِ، يُخبِرُنا يُوحنَّا أنَّهُ في البَدءِ لم يكُنِ اللهُ وحيداً. ففي سفرِ التَّكوين، الضميرُ المُستَخدَمُ إشارَةً إلى الله هُوَ بِصِيغَةِ الجَمع، وبِحَسَبِ يُوحَنَّا، في البَدءِ كانَ الكلمة معَ الله. عندَما صَلَّى يسُوعُ لأجلِ رُسُلِهِ، طَلَبَ منَ اللهِ أن يَرُدَّ لهُ المجدَ الذي كانَ لهُ قبلَ كَونِ العالم. (يُوحَنَّا ١٧: ٥). في البَدءِ، بحَسَبِ يُوحنَّا، كانَ لدى الله فكرَةً على قَلبِهِ أرادَ أن يُشارِكَها معَ البَشَر. يسُوع المسيح كانَ وسيلَةَ النَّقلِ، أوِ الكَلِمَة التي حمَلَت هذه الفكرة من عقلِ اللهِ إلى عقلِ الإنسان.

العددُ الثامِن عشر من الإصحاح الأوَّل من إنجيلِ يُوحنَّا، الذي قرأتُهُ على مسامِعِكُم منذُ دقائِق، يختُمُ مُقدِّمَةَ إنجيلِ يُوحنَّا، ويُقدِّمُ تصريحاً عظيماً عن يسوع: "اللهُ لم يَرَهُ أحدٌ قَطّ؛ الإبنُ الوَحيدُ الذي في حُضنِ الآبِ هُوَ خَبَّر." (يُوحَنَّا ١: ١٨)

يُخبِرُنا يُوحنَّا في العددَين الرَّابِع عشَر والثامِن عشر من هذا الإصحاحِ الأوَّل من إنجيلِ يُوحنَّا أنَّ الكَلِمَةَ صَارَ جَسَداً، وعاشَ بينَنا، لكي نستطيعَ أن نرَى أفكارَ الله، التي أعلَنها لنا يسُوعُ بالكامِل. لاحِقاً في هذا الإنجيل، سيستشهِدُ يُوحَنَّا بِقَولِ يسُوع، "أنا هُوَ الحَقُّ" وكذلكَ، "لِهذا وُلِدتُ،

لأشهَدَ لِلحَقّ." (١٤: ٦؛ ١٨: ٣٧) لقد كانَ يسُوعُ الحقَّ الذي أرادَ اللهُ أن يُشارِكَهُ معكَ ومَعي.

يُخبِرُنا الكتابُ المقدَّسُ في أكثَرِ من مكانٍ أن لا أحد قد رأى الله. بل رأى الناسُ إعلاناتٍ من الله. وإختبَرَ الناسُ ظُهُوراتٍ لله، كانَ بعضُها مَهُوباً ومُدهِشاً، ولكنَّ هذا التعبير عن الله، أو إعلان الله، أو ظُهُور الله الذي رأوهُ، لم يكُنْ كُلّ ما يُمكِن أن يَروهُ عنِ الله. فلا أحد يستطيعُ أن يرى اللهَ بكَمالِهِ. يُخبِرُنا العهدُ القَديمُ أنَّ لا أحَد يستطيعُ أن يرى اللهَ ويعيش. (خُرُوج ٣٣: ٢٠) وهكذا نجدُ أن لا أحد رأى الله بهذا المعنى الكامِل. فبحَسَبِ يُوحَنَّا، أقرَبُ مسافَةٍ بإمكانِنا أنا وأنتَ أن نرى منها إعلاناً كامِلاً لله، هي ما نراهُ عندَما ننظُرُ إلى يسُوع. هذا سَبَبٌ آخر لكَونِ "متحَفِ اللوحاتِ الرُّوحيَّة" هُوَ الإنجيلُ المُفضَّلُ عندِي بينَ الأناجيل الأربَعة.

"...الإبنُ الوَحيدُ الذي في حُضنِ الآب..." هذا يعني أنَّهُ في علاقَةٍ حَميمَةٍ معَ الآب. فأن يكُونَ الإنسانُ "في حُضنِ" شخصٍ ما، يعني أنْ يكُونَ جالساً عن يمينِهِ على المائِدة، أو بكلماتٍ أُخرى، في أكثَرِ مكانٍ حميمٍ في العلاقة. كانَ الإبنُ معَ الآب منذُ البَدء، وكانَ في علاقَةٍ حَميمَةٍ معَ اللهِ الآب. هذا الإبنُ الذي كانَ في هذه العلاقة الحميمة معَ اللهِ الآب، أعلنَ اللهَ وخَبَّرَ بهِ بشكلٍ كامِل.

إنَّ كلمة "خبَّرَ" باللُّغَةِ اليُونانِيَّةِ الأصليَّة هي كلمة "فسَّرَ." عندما تدرُسُ اللُّغَةَ اليُونانيَّة في كُلِّيَّةِ اللاهُوت، تدرُسُ في السنة الأُولى اللُّغَةَ اليونانيَّة في قواعِدها اللُّغَويَّة وما شابَهَ ذلك. إذا قُمتَ بِدِراسَةِ أربَعِ سنواتٍ من اللغةِ اليونانيَّة، بعدَ السنة الأُولى من دراسةِ اللغةِ اليونانيَّة، ستكُونُ السنواتُ الثلاث التالية ما يُسمُّونَهُ *Exegesis* أو تفسير. (Ex تعني: إستِخراج مِن، و Gesis تعني: الحقيقة أو المَعرِفَة.) فلِكَي تُفسِّرَ عدداً من أعدادِ الكتابِ المقدَّس، يعني أن تستخرِجَ من هذا العدد كُلَّ الحقيقة الكامِنة فيهِ. يُخبِرُنا يُوحَنَّا أنَّ كُلَّ الحقيقة التي يتمكَّنُ العقلُ البَشَرِيُّ أن يفهَمَها عنِ الله كانت مُتَوَقَّعَةً من قِبَلِ يسُوع المسيح.

كَما أشَرتُ عندما كُنَّا ندرُسُ حياةَ أشخاصٍ مثل إبراهيم، مُوسى، وداوُد في العهدِ القَديم، عندما كانَ اللهُ يُريدُ أن يُشارِكَ مفهُوماً عظيماً مثل الإيمان، كانَ يُغَلِّفُ هذا المَفهوم بِشخصٍ. يُخبِرُنا يُوحَنَّا أنَّ يَسُوعَ كانَ

الشَّخص الذي جسَّدَ اللهُ فيهِ كُلَّ الحقِّ الذي أرادَ إعلانَهُ لهذا العالم. لقد كانَ يسُوعُ ذلكَ الشَّخص بِكُلِّ ما كانَهُ، وبِكُلِّ ما عَمِلَهُ. ولقد كمَّلَ يسُوعُ هذا الدَّور أيضاً بِكُلِّ ما قالَهُ. في الأناجيل، عندَما نقرَأُ: "ففَتَحَ فاهُ وعَلَّمَهُم قائِلاً،" علينا أن نُدرِك أنَّ يسُوع المسيح كانَ أعظَمَ إعلانٍ أعطاهُ اللهُ لهذا العالم.

هذا ما يقصُدُهُ يُوحَنَّا عندما يُخبِرُنا أنَّ يسُوع المسيح كانَ وهُوَ كَلِمَة الله. يسُوع المسيح كانَ وهُوَ كلمة اللهِ الحيَّ، الذي كانَ معَ اللهِ في البَدءِ، وكانَ الله. هُوَ كانَ الكلمة، والكَلِمَةُ صارَ جسداً، وجاءَ إلى هذا العالم، وفَسَّرَ لنا الله. إنَّ أعظَمَ إعلانٍ عنِ اللهِ ليسَ الكتاب المُقدَّس. بل أعظَمُ إعلانٍ سبقَ وأُعطِيَ عنِ اللهِ في هذا العالم، هُوَ يسُوع المسيح.

العِلمُ والتِّقَنِيَّةُ المُتَطَوِّرَة تطرَحُ أمامَنا اليوم قضايا أخلاقِيَّة مُحرِجَة، مثل الهندَسَة الجِينيَّة، الإستِنساخ البَشَريّ، الإجهاض، والمَوت الرَّحيم. بِغَضِّ النَّظَرِ عما هي هذه القَضايا، علينا أن نبدَأَ دائماً معَ يسُوع وأن نسألَ نُفُوسَنا، "هل عالَجَ يسُوعُ هذهِ القَضِيَّة، ولو على الأقل بِشكلٍ مبدَئيّ؟" فما نُؤمِنُ بهِ ينبَغي أن يبدَأَ دائماً معَ يسُوع. فالحقيقَةُ التي كانَها يسُوع، والحقيقَةُ التي علَّمَها يسُوع، ينبَغي أن تَكُونَ أساسَ وقلبَ ما نُؤمِنُ بهِ، إن كُنَّا سنُعتَبَرُ مُستَحِقِّينَ أن نعتَبِرَ أنفُسَنا تلاميذَ ليسُوع المسيح.

يسُوعُ كانَ الله

بِمعنَىً ما، المَوضُوعُ الرَّئيسيُّ للإنجيل الرَّابِع مُعَبَّرُ عنهُ في الكلماتِ الثَّلاث الأخيرة من العددِ الأوَّل منَ الإصحاحِ الأوَّلِ منهُ، حيثُ نقرَأُ، "وكانَ الكَلِمَةُ الله." فالكَلِمَةُ الذي كَتَبَ عنهُ يُوحَنَّا، ليسَ أنَّهُ فقط كانَ في البَدءِ، وكانَ معَ الله. بل كانَ الكَلِمَةُ الله. وحُجَّةُ إنجيل يُوحَنَّا الرَّئيسيَّة هي أنَّهُ عندما صارَ الكلِمَةُ الذي كانَ الله، عندما صارَ جسداً وفسَّرَ لنا الله، كانَ هذا الكلمة يسُوع المسيح! وعَبْرَ كُلِّ إنجيلِهِ، كانَ هدَفُ يُوحَنَّا أن يُخبِرُنا أنَّ يسُوع لم يَكُن إلَهِيَّاً فحَسب، بل كانَ الله. وسيكُونُ هذا هُوَ التَّشديدُ الخاص الذي سنراهُ في تصريحاتِ يسوع في حِوارِهِ العدائِي معَ القادَةِ الدِّينيِّين، والتي سجَّلَها يُوحَنَّا في الإصحاحاتِ ٥ إلى ٨.

هذه الحقيقة العميقة التي يُشارِكُها معنا يُوحنَّا، يُمكِنُ تلخيصُها في كلمة "تجسُّد،" أو Incarnation. يُخبِرُنا يُوحنَّا أنَّ اللهَ القَدير صارَ جسداً.

الكلمة اليُونانيَّة *Carne* "كارني" تعني "جسد". فالتجسُّدُ يعني الصَّيرُورَة جسداً. وهكذا يُخبِرُنا يُوحَنَّا أنَّ اللهَ القَديرَ صارَ جَسداً. فإنجيلُ الميلادِ هذا هُوَ الأخبارُ السارَّة أنَّ اللهَ صارَ جسداً لِيُخَلِّصَنا.

أنا مُصَمِّمٌ جدَّاً أن أُوضِحَ معنَى مَفهُوم التَّجسُّد، ولهذا أُريدُكَ أن تستخدِمَ مُخَيِّلَتَكَ لبِضعِ دقائِق. تَصَوَّرْ أنَّكَ تَجِدُ بإستِمرار نملاً في مطبَخِكَ وفي كُلِّ منزِلِكَ. ولنفتَرِضْ أنَّكَ ترغَبُ بإيجادِ حَلٍّ لمُشكِلَةِ النَّملِ هذه. وإذا بِكَ تكتَشِفُ أنَّ النَّملَ يأتي من وكرٍ في زاوِيَةٍ الحديقة. ويُوجَدُ خطٌّ منَ النَّملِ يتحرَّكُ بإستمرار من وكرِ النَّملِ هذا إلى داخِلِ منزِلِكَ. النَّملُ يحصَلُ على الغِذاءِ من منزِلِكَ، ويرجِعُ إلى الوكرِ حيثُ يُخَزِّنُ طعامَكَ ويأكُلُهُ.

لَو كانَ بإمكانِكَ أن تتفاهَمَ معَ النَّملِ في ذلكَ الوكر، لكُنتَ قد توصَّلتَ إلى حَلٍّ معَهم. لَرُبَّما قد ترغَبُ بأن تترُكَ للنَّملِ كَمِّياتٍ منَ الطَّعام قُربَ الوكر، إذا وافَقَ النَّملُ على البَقاءِ بعيداً عن منزِلِكَ. وبِمُلاحَظَتِكَ للنَّمل، سَوفَ تعرِفُ أنَّهُم يتفاهَمُونَ معَ بعضِهِم، ولكنَّ مُشكِلَتَكَ هي أنَّكَ لا تقدِرُ أن تتفاهَمَ معَ هذا النَّمل.

تَصَوَّرْ أنَّكَ تُريدُ أن تتَفاهَمَ فعلاً معَ هذا النَّمل، وأنَّكَ أحبَبتَ النَّملَ لِدَرَجَةِ أنَّكَ تخلَّيتَ عن وُجُودِكَ كَكائِنٍ بَشَرِيٍّ، وأصبَحتَ نملَةً. ثُمَّ نزَلتَ إلى وكرِ النَّملِ ذاك، وهُناكَ قُلتَ للنَّملِ، "قد أبدُو لكُم وكَأنَّني نملَة، ولكنَّني بالحقيقة ذلكَ الإنسان الذي يَعيشُ فَوق، في المنزِل الذي تدخُلُونَهُ منَ الحديقة. وأنا مُستَعِدٌّ أن أتخَلَّى عن كيسٍ يَحوِي كيلوغرامَين منَ السُّكَّر الذي سأترُكُهُ في زاوِيَةِ الحديقة، إذا وافَقتُم على الإبتِعادِ عنِ منزِلي."

رُغمَ أنَّهُ بطريقَةٍ ما يُعتَبَرُ هذا الإيضاحُ مُثيراً للضَّحِك، ولكنِّي أعتَقِدُ أنَّهُ يُوضِحُ بِشَكلٍ مُصَغَّر المفهُومَ الكِتابِيَّ الجَميل عنِ "التَّجَسُّد." فَكِّرْ بالتَّحدِّي الذي واجَهَهُ اللهُ عندما قرَّرَ أن يُعلِنَ مُعجِزَةَ ورِسالَةَ الخلاصِ للكائِناتِ البَشَرِيَّة. فالأخبارُ السَّارَّةُ التي تمَّ إعلانُها في هذا الإنجيلِ الرَّابع، هي أنَّ اللهَ أحبَّ العالَمَ لِدَرَجَةِ أنَّهُ صارَ جسداً إنسانِيَّاً، لكي يقدِرَ أن يُوصِلَ خلاصَهُ وحياتَهُ الأبديَّة لكَ ولي.

بالإختِصار

بَينما يُخبِرُنا يُوحنَّا في مُقَدِّمَتِهِ عمَّا سيقُولُهُ لنا، يُخبِرُنا أنَّ يسُوعَ كانَ الكلمة، وكونِه الكلمة، كانَ عندَ اللهِ الآب، وكانَ الكلِمَةُ الله. وصارَ جسداً

وحلَّ بينَنا، حتى لا نعُودَ نقرَأُ عنِ اللهِ فقط على صَفحَةٍ مُقَدَّسَةٍ، بل أرادَنا أن نرى كيفَ يبدُو الله، وعاشَ بينَنا في حياةٍ إنسانِيَّة. الكَلِمَةُ اليُونانِيَّةُ المُترجَمَةُ "حَلَّ" هي كَلِمَةٌ تَعني "نصبَ خيمَتَهُ بينَنا." فعندما صارَ اللهُ إنساناً، أعلنَ ما هُوَ اللهُ، وأظهَرَ لنا كُلَّ الحقِّ الذي بإمكانِنا أن نفهَمَهُ عنِ الله (يُوحَنَّا ١: ١، ١٤، ١٨).

ويُخبِرُنا يُوحنَّا أيضاً في هذه الأعداد الإفتِتاحِيَّة التي نُسمِّيها المُقدِّمَة، أنَّهُ "كانَ في العالَم وكُوِّنَ العالَمُ بهِ ولم يَعرِفْهُ العالم. إلى خاصَّتِهِ (أي الشَّعب اليَهُودِيّ) جاءَ وخاصَّتُهُ لم تقبَلْهُ. وأمَّا كُلُّ الذينَ قَبِلُوهُ فأعطاهُم سُلطاناً أن يَصِيرُوا أولادَ الله، أي المُؤمِنُونَ بإسمِهِ. الذين وُلِدُوا ليسَ من دَمٍ ولا من مشيئَةِ جسدٍ ولا من مَشيئَةِ رَجُلٍ بَل من الله." (يُوحَنَّا ١: ١٢، ١٣)

وبينما يُخبِرُنا هذا الرَّسُولُ المَحبُوبُ عمَّا سيقُولُهُ لنا، يُعبِّرُ عن ذلكَ كالتَّالِي: عندما أصبَحَ الكَلِمَةُ جسداً وَحَلَّ بينَنا، جاءَ إلى النَّاس في هذا العالم. جاءَ إلى خاصَّتِهِ، الشعب اليَهُودِيّ. مُعظَمُ اليَهُودِ لم يقبَلُوه، خاصَّةً رِجالُ الدِّينِ بينَهُم. ولكنَّ الذي قَبِلُوهُ، أصبَحُوا مَولُودِينَ من جَدِيد."

الكلمة "يقبَل" تعني أنَّهُم لم يُؤمِنُوا بهِ. فعندما كانَ يسُوعُ موجُوداً هُنا في الجَسَد، لم يَطلُبْ الناس أن يحنُوا رُؤُوسَهُم ليطلُبُوا منهُ أن يدخُلَ قُلُوبَهم، لأنَّهُ كانَ معَهُم في الجَسَد. لم يكُنِ العَرضُ أن يقبَلُوهُ بهذا المعنى. لأنَّ هذا كانَ سيأتي لاحِقاً. ولكنَّ كَلِمَة "يقبَل" هي رَديفٌ لكلمة "يُؤمِن." كانَ في هذا العالم وكُوِّنَ العالَمُ بهِ ولم يعرِفْهُ العالم." صُلِبَ على صَليبٍ من الخشَب، وخلقَ التَّلَّةِ التي نُصِبَ صَليبُهُ عليها،" كما قالَ المُرنِّم. لَم يَكُنِ اليَهُودُ الشَّعبَ الوحيدَ الذي رَفَضَ المسيح. يَقُولُ أحدُ المُرَنِّمينَ السُّود في إحدَى ترنيماتِ الميلاد التي نظَمها، "لم نعلَم أنَّ ذاكَ كانَ أنت، يا رَب! لم نعلَم أنَّكَ أنت."

ولكنَّ الأخبارَ السارَّةَ تقُولُ: قَبِلَهُ البَعضُ، مثل التَّلاميذ الإثنَي عَشَر. كَثيرُونَ لم يُدرِكُوا أنَّ التلاميذَ الإثنَي عشَر كانُوا جَميعُهُم يَهُوداً. بَعضُ اليَهُودِ آمنُوا، ولأُولئكَ الذين آمنُوا "أعطاهُم سُلطاناً أن يَصِيرُوا أولادَ الله، أي المُؤمنُونَ بإسمِهِ."

بكلماتٍ أُخرى، جاءَ من أجلِ الناس. ومُعظَمُ الناس لم يُؤمِنُوا بهِ عندما أخبَرَهم من كانَ هُوَ بالحقيقة. ولكنَّ البَعضَ آمنُوا بهِ، وعندما فعلُوا،

أعطاهُم سُلطاناً أن يَصيرُوا كما أرادَهُم اللهُ أن يكُونُوا – أي أبناءَ الله. أُولئكَ الذين آمنُوا، أخذُوا منهُ السُّلطانَ ليُصبِحُوا أبناءَ الله، فاجتازُوا في إختِبار. كانَ هذا الإختِبار وكأنَّهُ ولادَةٌ ثانِيَة.

فجميعُهم كانُوا قد وُلِدُوا جسديَّاً. أي أنَّهُم وُلِدُوا من دمٍ، من مَشيئةِ جسدٍ، أو من مَشيئةِ رَجُلٍ. جميعُهم إختَبَروا ولادَةً جسديَّةً. ولكن عندما قَبِلُوا من يسُوع السُّلطان ليُصبِحُوا أبناءَ الله، إختَبَروا ولادَةً لم تكُنْ من الجَسَد. لقد إختَبَرُوا ولادَةً رُوحيَّة. يُخبِرُنا يُوحنَّا أنَّهُم "وُلِدُوا منَ الله"، أو "وُلِدُوا من فَوق." في الإصحاح الثَّالِث من هذا الإنجيل، سوفَ يُسَمِّي يسُوعُ هذا الإختِبار "بالولادَةِ الثَّانِيَة."

كما يقُولُ يُوحنَّا، "ليسَ من دَمٍ، ولا من مَشيئَةِ جسدٍ، ولا من مَشيئَةِ رجُلٍ، بل من الله." لقد وُلِدُوا من الله. في يُوحَنَّا الإصحاحِ الثالِث، يُخبِرُنا يسُوعُ أنَّهُم وُلِدوا ثانِيَةً.

بينما تقرأُونَ هذا الإنجيل، لاحِظُوا أنَّهُ بعدَ أن يُخبِرَنا يُوحنَّا بما سيقُولُهُ لنا في هذه المُقدِّمة، سيبدَأُ بوصفِ مُقابلاتٍ أجراها يسُوعُ معَ أُناسٍ وُلِدُوا من جَديد، لأنَّهُم تجاوَبُوا معَهُم بالطريقَةِ الصَّحيحة. أوَّلُهُم كانُوا أُولئكَ الذين أصبَحُوا فيما بعد رُسُلَهُ. ثُمَّ إلتَقى معَ آخرين، مثل مُعَلِّم النَّامُوس نيقُوديمُوس الذي أخبَرَهُ يسُوع أنَّهُ عليهِ أن يُولَدَ من جَديد.

في الإصحاح ٤ يتكلَّمُ يسُوعُ معَ إمرأَةٍ عندَ بِئرٍ في السامِرة. ولقد وصفَ يسُوعُ لها إختِبارَ الولادةِ الجديدة بِلُغةٍ مُختَلِفَةٍ تماماً. لقد تكلَّمَ معها عن الشُّرب – وعن ماءٍ إذا شَرِبتْ منهُ سيُروي ظمأَها إلى باقي حياتِها. وسوفَ يتقابَلُ معَ رَجُلٍ أمامَ بِركَةٍ في الإصحاحِ الخامِس، وسيتكلَّمُ معَ شخصٍ أعمى في الإصحاحِ التَّاسِع. وسيتكلَّمُ معَ أشخاصٍ مُختَلِفين، في لِقاءاتٍ أجراها خِلالَ حياتِهِ معَ أناسٍ إلتقى بهم عبرَ هذا الإنجيل. ولكن ماذا تُخبِرُناهذه المُقابَلاتُ معَ هؤلاء الناس؟

يُخبِرُنا يُوحنَّا صراحَةً ما تقُولُهُ لنا. عندما ذهبَ يسُوعُ وإلتَقى بالناس ولم يُؤمِنُوا بهِ، لم يحدُثْ شيءٌ. ولكن عندما آمنُوا، أعطاهُم سُلطاناً أن يَصِيروا أبناءَ الله، فأختبَرُوا أمراً مُمَيَّزاً. لقد وُلِدوا من الله. هذا ما سيُخبِرُنا بهِ يُوحنَّا، بِحَسَبِ هذه المُقدِّمة. في كُلِّ هذه الإصحاحات واللِّقاءات التي تتبَعُ، هذا بالتحديد ما سيُظهِرُهُ لنا يُوحنَّا، وما سيُخبِرُنا بهِ.

عندما وصلَ يُوحنَّا إلى نهايَةِ إنجيلِهِ، أخبَرنا ما قالَهُ لنا بإعطائِنا هدفَهُ المُعلَن من كتابَةِ الإنجيل. أخبَرنا أنَّ هُناكَ أُمُوراً كَثيرَةً عمِلَها يسُوع. فهُوَ يقُولُ في نهايَةِ الإصحاح ٢٠، "وآياتٍ أُخَرَ كثيرة صنعَ يسُوعُ قُدَّامَ تلاميذِهِ لم تُكتَبْ في هذا الكتاب. وأمَّا هذهِ فقد كُتِبَت لِتُؤمِنُوا أنَّ يسُوعَ هُوَ المَسيح إبنُ الله ولِكَي تَكُونَ لكُم إذا آمنتُم حياةٌ بإسمِه."

الفَصلُ الثَّالِث

"الشَّاهِد"

(يُوحنَّا ١: ١- ١١)

"كانَ إنسانٌ مُرسَلٌ منَ الله إسمُهُ يُوحنَّا. هذا جاءَ للشَّهادَة لِيَشهَدَ لِلنُّور لِكَي يُؤمِنَ الكُلُّ بِواسِطَتِهِ. لم يكُنْ هُوَ النُّور بَلْ لِيَشهَدَ لِلنُّور. يُوحنَّا شَهِدَ لهُ ونادَى قائِلاً هذا هُوَ الذي قُلتُ عنهُ إنَّ الذي يأتي بعدِي صارَ قُدَّامِي لأنَّهُ كانَ قَبلِي. ومِن مِلئِهِ نحنُ جميعاً أخذنا. ونِعمَةً فوقَ نِعمة. لأنَّ النَّامُوس بِمُوسى أُعطِيَ. أمَّا النِّعمَةُ والحَقُّ فَبِيَسُوع المسيح صارا." (١: ١٧)

في الإصحاحاتِ الأُولَى من هذا الكُتَيِّب، رَكَّزتُ بِشَكلٍ أساسِيٍّ على ثلاثَةِ أعدادٍ منَ مُقَدِّمَةِ :إنجيلِ يُوحنَّا، أي الأعداد الثمانية عشر الأولى. وبينما كُنَّا ننظُرُ إلى هذه المُقدِّمة في حلقتِنا الأخيرة، ركَّزنا بِشَكلٍ أساسِيٍّ على ثلاثَةِ أعدادٍ منَ الإصحاحِ الأوَّل: العدد ١، ١٤، و١٨. بينَ هذه الأعدادِ السِّتَّة، أي في الأعداد ٦ إلى ٨، و١٥ إلى ١٧، تمَّ تقدِيمُنا إلى رَجُلٍ آخر هُوَ يُوحَنَّا المعمدان. قالَ يسُوعُ شَيئاً عن هذا الرَّجُل، الذي يُعتَبَرُ أعظَمَ إطراءٍ حصلَ عليهِ إنسانٌ في التاريخ. قالَ يسُوع، "لا يُوجَدُ مَولُودُ امرأَة أعظَم من يُوحَنَّا المعمدان، ولا يُوجَدُ نَبِيٌّ أعظَم من يُوحَنَّا المعمدان."

وهكذا كانَ يُوحنَّا المعمدان أعظَمَ الأنبِياء بنَظَرِ يسُوع، أو أعظم الناس الذي عاشُوا حتَّى ذلكَ الوقت. (متَّى ١١: ١١؛ لُوقا ٧: ٢٨). إنَّ هذا ينبَغي أن يستَوقِفَنا ويجعلَنا ننظُرُ عن كَثَبٍ إلى هذا الإنسان، الذي أُرسِلَ من الله، والذي كانَ إسمُهُ يُوحنَّا.

إنَّ كاتِبَ هذا الإنجيل يُوضِحُ تماماً أنَّ يُوحَنَّا هذا لم يَكُنْ هُوَ النُّور، بل جاءَ لِيَشهَدَ لِلنُّور. في هذه المُقدِّمَة، لاحِظُوا كم مرَّةً إستُخدِمَت صِيغَةُ الفِعل "كَانَ"، إشارَةً إلى يسُوع المسيح. فنحنُ نقرَأُ مراراً وتِكراراً في

الأعدادِ الثَّمانِيَة عشر الأُولى من إنجيلِ يُوحَنَّا عن أنَّ يسُوعَ: "كانَ، وكانَ، وكانَ." ولكن لاحِظُوا أنَّهُ عندَما يتِمُّ تعريفُنا على هذا الرَّجُل، يُوحَنَّا المعمدان، كيفَ أنَّنا نقرَأُ دائِماً: "لم يَكُنْ، لم يَكُنْ، لَم يَكُن."

لاحِظُوا أنَّهُ عندَما أصبَحَ يَسُوعُ، الكَلِمةِ الحَيّ، جسداً، كم كانَ يُكَرِّرُ القَولَ، "أنا هُوَ، أنا هُوَ، أنا هُوَ." إحدى أروَعِ الطُّرُق لدِراسَةِ حياةِ المسيح في إنجيلِ يُوحَنَّا، هِي تَتَبُّعُ أقوالِ المسيح عن نفسِهِ عبرَ هذا الإنجيل، حيثُ كانَ يَقُولُ: "أنا هُوَ..." وحَيثُ كانَ يسُوعُ يُصِرُّ على القَولِ "أنا هُوَ..."، لاحِظُوا كم منَ المرَّاتِ نَسمَعُ يُوحَنَّا يَقُولُ غالِباً العَكس. فنحنُ نسمَعُ يُوحَنَّا المَعمدان يُصِرُّ على قَولِ التَّالِي: "وهذه هي شَهادَةُ يُوحَنَّا حِينَ أرسَلَ اليَهُودُ من أُورشَليم كَهَنَةً ولاوِيِّين لِيَسأَلُوهُ مَنْ أنتَ. فاعتَرَفَ ولم يُنكِرْ واقَرَّ أنِّي لَستُ أنا المسيح. فسألُوهُ إذاً ماذا، إيليَّا أنتَ. فقالَ لَستُ أنا. ألنَّبِيُّ أنتَ. فأَجابَ لا. فقالُوا لهُ من أنتَ لِنُعطِيَ جواباً لِلَّذِينَ أرسَلُونا. ماذا تَقُولُ عن نفسِكَ. قالَ أنا صَوتُ صارِخٍ في البَرِّيَّة قَوِّمُوا طَريقَ الرَّبِّ كما قالَ إشَعياءُ النَّبِيّ. وكانَ المُرسَلُونَ منَ الفَرِّيسيِّين." (يُوحَنَّا ١: ١٩- ٢٤).

عندما تمَّ تَكليفُ السُّلطاتِ الدِّينيَّة بمُقابَلَةِ يُوحَنَّا المعمدان ومُساءَلَتِهِ: "أَلمَسيحُ أنتَ؟ أَإيليَّا أنتَ؟ أَلنَّبِيُّ أنتَ؟ من أنتَ؟ ماذا تَقُولُ عن نفسِكَ؟" عندما أجابَ، "لا، لَستُ أنا،" إجابَةً على أسئِلَتِهِم، لاحِظُوا كم كانَ مُصِرَّاً على التَّصريح قائِلاً، "لَستُ أنا."

نَلتَقِي بِهَذا الرَّجُل مُجَدَّداً في الإصحاحِ الثَّالِث. جاءَ تلاميذُ يُوحَنَّا إليهِ وسألُوهُ، "يا مُعَلِّم، الجميعُ يذهَبُونَ لِيَسمَعُوا ذاكَ الرَّجُل الذي قالَ أنَّهُ أعظَمَ منكَ. ولم يعُدْ أحدٌ يأتي لِيَسمَعَ وعظَكَ." فأجابَ يُوحَنَّا المعمدان بما معناهُ، " لقد قُلتُ لَكُم لَستُ أنا إيَّاهُ. قُلتُ لكُم لَستُ أنا، بَل هُوَ المُهِمّ. وينبَغي أنَّهُ هُوَ يَزيد وأنِّي أنا أنقُص. فهُوَ العَريسُ وهؤُلاء النَّاس هُمُ العَرُوس. وأنا لَستُ سوى صديق العَريس، الذي يفرَحُ بِرُؤيَةِ العَريسِ يتزوَّجُ من عَرُوسِهِ (٣: ٢٨- ٣٠).

من المُمكِن أن يكُونَ سِرُّ عظمة هذا النَّبِيّ والرَّجل والشاهِد، هُوَ بِبَساطَةِ التالي: أنَّهُ قَبِلَ محدُودِيَّاتِه، وقَبِلَ مَسؤُولِيَّةَ مُؤَهِّلاتِهِ. لقد قَبِلَ مسؤُولِيَّةَ كَونِهِ من أرادَهُ اللهُ أن يَكُون، وأيضاً عرَفَ من لم يَكُن. وعندَما أصرَّ عليهِ رِجالُ الدِّينِ طالِبينَ جوابَهُ على سُؤالِهِم، قالَ لهُم أنَّهُ صَوتٌ

صارِخٌ في البَرِّيَّة. هذا من وما وحيثُ كانَ يُوحَنَّا مُكَلَّفاً منَ اللهِ أن يَكُون. لقد عرفَ أنَّهُ سيَكُونُ منَ الغَباءِ بأن يُحاوِلَ أن يَكُونَ أكثَرَ من ذلكَ، وآمنَ أنَّ الحياةَ كانت ذاتَ قيمَةٍ أكثَر من مُجَرَّدِ أن تَكُونَ أقَلَّ مِمَّا أرادَهُ اللهُ لهُ أن يَكُونَهُ.

أحدُ الأسئِلَة التي طَرَحَها رِجالُ الدِّينِ على يُوحَنَّا المعمدان، كانَ: "ماذا تقُولُ عن نفسِكَ؟" إنَّ كلمة "نفس" مُعرَّفَةٌ في القامُوس كالتالي: "فرادَة أو فَرديَّة أيّ شَخص التي تجعَلُ منهُ مُمَيَّزاً عن أيِّ شَخصٍ آخر."

يُعلِّمُ الكتابُ المقدَّسُ بإنسِجامٍ معَ نفسِهِ أنَّهُ عندما صنعكَ اللهُ وصنعني، وعندما صنعَ اللهُ يُوحنَّا المعمدان، صنعَ كُلاً منَّا ورمى القالَبَ الذي صنعَنا بهِ. ففي كُلِّ مرَّةٍ يصنَعُ بها اللهُ كائِناً بَشَرِيَّاً، يَرمي القالبَ بعيداً. فليسَ هُناكَ أحدٌ نظيرَكَ، ولم يكُنْ ولن يكُونَ أحدٌ نظيرَكَ تماماً. فأنتَ شخصٌ فريدٌ وفَرديّ. وكُلُّ كائِنٍ بَشَريٍّ مُصَمَّمٌ لِيكُونَ فريداً. فهُناكَ ما يَزيدُ على السِتِّينَ بَليون بَصمَةَ إصبَعٍ في العالَمِ وأكثَر، وكُلُّ إصبَعٍ يحمِلُ بَصمَةً مُختَلِفَةً عنِ الإصبَعِ الآخر. هذه شهادَةٌ على فرادَةِ خُطَّةِ اللهِ لكُلِّ كائنٍ بَشَرِيٍّ بذاتِهِ. فما نُسَمِّيهِ اليوم بالحَمضِ النَّوَوِيّ، يذهَبُ إلى ما هُوَ أبعَدُ من بصماتِ الأصابِع، للتَّاكيدِ على صِحَّةِ هذه المُعجِزَةِ العظيمة.

بِحَسَبِ كَلِمَةِ الله، أحدُ أوَّلِ نتائِجِ خلاصِنا، هي ما يُسمِّيهِ بُولُس، "إرادَة الله الصَّالِحَة المرضِيَّة والكامِلَة" لِحياتِنا (رُومية ١٢: ١، ٢). بِكَلِماتٍ أُخرى، عندما نُولَدُ من جَديد، نكتَشِفُ فرادَتَنا وخُصُوصِيَّتَنا في المسيح. وقبلَ أن نُولَدَ من جديد، نميلُ للتَّقليدِ والنَّسخِ و المُطابَقَةِ، أو لنَسمَحَ لِنُفُوسِنا بأن يتسلَّطَ الآخرُونَ علينا إلى أن نُصبِحَ مثلَ الآخرين. ونَكُونُ بهذا مُشابِهينَ لِعِيسُو في العهدِ القَديم. "نَبيعُ بُكُورِيَّتَنا من أجلِ صحنٍ منَ الحِساء." (تَكوِين ٢٥: ٢٩- ٣٤) ولهذا سوفَ نخسَرُ فرادَتنا وفَرديَّتِنا، وما نُسمِّيهِ هُوِيَّتَنا.

تُشيرُ كَلِمَةُ اللهِ إلى هذا الشَّخصِ الفَريد الذي يُريدكَ اللهُ أن تَكُونَهُ بِـ"النفس أو الذَّات." عندما قالَ يسُوع، "لأنَّهُ ماذا ينتَفِعُ الإنسانُ لو رَبِحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نَفسَهُ،" أو "ماذا يُعطي الإنسانُ فداءً عن نفسِهِ،" كانَ يتكلَّمُ عن الشخصِ الفَريد الذي أرادَنا اللهُ أن نكُونَهُ، والذي سيُمَيِّزُنا عن الآخرين. (مرقُس ٨: ٣٦، ٣٧)

إنَّ مَشيئَةَ اللهِ تجاهَكَ كَكائِنٍ بَشَريّ هي صالِحَة، مَرضِيَّة، وكامِلة. ولن تكتَشِفَ هذه الفرادة أو الفَردانِيَّة، إلى أن تأتيَ إلى المسيح، ولكن إحدى نتائج المَجيء إلى المسيح، هو إكتِشاف إرادة الله الصالِحة والمَرضِيَّة والكامِلة لحياتِنا. أيُّ شَخصٍ إكتَشَفَ إرادَةَ الله الصالِحَة لهُ، كما إختبَرَها يُوحنَّا المعمدان، سوفَ يقبَلُ محدُوديَّاتِهِ ومسؤوليَّاتِهِ ليَكُونَ من وما وحيثُ يُريدُهُ اللهُ أن يَكُون.

إنَّ مِثالَ يُوحنَّا المعمدان يُقَدَّمُ لنا على صَفَحاتِ الكتابِ المُقدَّس، ليضَعَنا أمامَ التَّحدِّي أن نُؤمِنَ أنَّ الإلهَ نفسَهُ الذي كانَ لَدَيهِ قصدٌ لِحياةِ يُوحَنَّا المعمدان، لهُ قَصدٌ لحياتِنا نحنُ اليوم. هل تَعرِفُ من يُريدُكَ اللهُ أن تَكُون؟ وهل تُؤمِنُ أنَّ اللهَ لَدَيهِ خُطَّةٌ لما وأينَ يُريدُكَ أن تَكُون في هذا العالم؟ بهذه الطريقة ينبَغي علينا أن نُطَبِّقَ على حياتِنا الشَّخصِيَّة ما يُعَلِّمُنا بهِ الكتابُ المُقدَّسُ عن أعظَمِ إنسانٍ وأعظَمِ نَبيٍّ عاشَ حتَّى ذلكَ الحين.

شَهادَةُ يُوحَنَّا

في الإصحاحِ الأوَّلِ من هذا الإنجيل، في العدد ١٩، نقرَأُ: "وهذه هي شَهادَةُ يُوحنَّا،" وفي العدد ٣٢ نقرَأُ،"وشَهِدَ يُوحنَّا قائِلاً." ثُمَّ في العدد ٣٤، يتكلَّمُ يُوحنَّا بِنَفسِهِ قائِلاً: "وأنا قد رأَيتُ وشَهِدتُ." فالآن، ما هِيَ شهادَةُ يُوحنَّا؟ إنَّ شهادَةَ يُوحنَّا المعمدان مُنسَجِمَةٌ معَ موضُوعِ هذا الإنجيل. تذكَّروا أنَّ أحدَ الأشياءِ الفَريدة حولَ إنجيل يُوحنَّا هي أنَّهُ يُوجدُ حُجَّةٌ مَنطِقِيَّةٌ مُتَسَلسِلَة عبرَ هذا الإنجيل. هذه الحُجَّةُ المَنطِقِيَّةُ لها علاقَةٌ بالقصدِ من كتابَةِ هذا الإنجيل، المُعلَن في العددين الأخيرين من الإصحاح ٢٠، والذي هُوَ إقناعُنا بأنَّ يسُوعَ هُوَ المسيح، المَسيَّا، إبن الله، لِكَي نُولَدَ من جَديد وننالَ الحياةَ الأبديَّة.

في العدد ٢٦، نجدُ أنَّ يُوحنَّا يُجيبُ على السُّؤال، "لماذا تُعَمِّدُ؟" بالقول، "أنا أُعَمِّدُ بِماءٍ. ولكن في وسطِكُم قائِمٌ الذي لستُم تعرِفُونَهُ. هُوَ الذي يأتي بعدي الذي صارَ قُدَّامي الذي لَستُ بِمُستَحِقٍّ أن أَحُلَّ سُيُورَ حذائِهِ."

ثُمَّ نقرَأُ في العدد ٢٩: "وفي الغَدِ نظرَ يُوحنَّا يسُوعَ مُقبِلاً إليهِ فقالَ هُوَذا حملُ الله الذي يرفَعُ خطيَّةَ العالم. هذا هُوَ الذي قُلتُ عنهُ يأتي بعدي رَجُلٌ صارَ قُدَّامي لأنَّهُ كانَ قَبلي. وأنا لم أكُنْ أعرِفُهُ. لَكِن لِيُظهَرَ لإسرائيل لِذلكَ جِئتُ أُعَمِّدُ بِالمَاء. وشَهِدَ يُوحنَّا قائلاً إنِّي قد رأيتُ الرُّوحَ نازِلاً مثلَ

حمامَةٍ من السَّماء فاستَقَرَّ عليهِ. وأنا لم أكُنْ أعرِفُهُ. لكنَّ الذي أرسلَني لأُعمِّدَ بالماء ذاكَ قالَ لي الذي ترى الرُّوحَ نازِلاً ومُستَقِرَّاً عليهِ فهذا هُوَ الذي يُعَمِّدُ بالرُّوحِ القُدُس. وأنا قد رأيتُ وشَهِدتُ أنَّ هذا هُوَ إبنُ الله."

ما يقُولُهُ لنا يُوحنَّا المعمدان هُوَ التالي: عندما أُرسِلَ لِيُعَمِّد، الذي أرسلَهُ ليُعَمِّد قالَ لهُ، "يوماً ما، أنتَ ستُعَمِّدُ الناس. ولكنَّ هُناكَ شخصاً مُعيَّناً عندما ستُعَمِّدُهُ، سوفَ يَحِلُّ الرُّوحُ القُدُسُ عليهِ بِشكلِ حَمامَة ويستَقِرُّ عليه. وعندما سيحدُثُ هذا، سوفَ تعرِفُ أنَّ هذا الإنسان هُوَ إبنُ الله." ويُوحنَّا شَهِدَ أنَّهُ عندما كانَ يُعمِّدُ، رأى الرُّوحَ نازِلاً من السماءِ مثل حمامَةٍ ومُستَقِرَّاً على هذا الإنسان، الذي كانَ يسوع الناصِريّ. وهكذا قالَ يُوحنَّا، "وأنا قد رأيتُ وشَهِدتُ أنَّ هذا (يسُوع النَّاصِريّ) هُوَ إبن الله."

وهُوَ يُقدِّمُهُ قائِلاً، "هُوَذا حَمَلُ الله الذي يَرفَعُ خَطيَّةَ العالم." (يُوحنَّا ١: ٢٩) وكونَهُ آخر وأعظَم الأنبياء، تمَّمَ يُوحَنَّا المعمدان معنى الملايين منَ الخِراف التي كانت تُقدَّمُ ذَبائِحَ، طاعَةً لناموسِ اللهِ كما تمَّ تعليمُهُ في سِفرَي الخُرُوج واللاوِيِّين. إنَّ قلبَ وجوهَرَ كُلِّ هذه الذَّبائِح، كانَ مُمَثَّلاً في العِبادَةِ اليَهُودِيَّةِ الأصليَّة لِعيدِ الفِصح (خُروج ١٢؛ لُوقا ٢٢: ١٥، ١٦).

إنَّ تَقديمَ يَسُوع من قِبَلِ يُوحَنَّا المعمدان يربِطُ بينَ مَوتِ يسُوع المسيح على الصَّليب وبينَ كُلِّ تلكَ الذَّبائِح الحَيَوانِيَّة التي كانت في قَلبِ الطُّقُوسِ اليَهُودِيَّة. كانَ برُوتُوكُولُ العِبادَةِ الجميل سارِيَ المَفعُول عندما أعطى اللهُ مُوسى التَّعليمات لخيمَةِ الإجتماع. عدَّةُ إصحاحاتٍ من سِفرِ الخُرُوج تبدُو وكَأَنَّها كتابُ هندَسَةٍ معمارِيَّة ، لأنَّ الله أرادَ أن تَكُونَ هذه الطُّقُوس التي كانت تُظهِرُ للشَّعبِ الخاطِئ كيفَ يقتَرِبُ منَ اللهِ القُدُوس، أرادَ اللهُ لهذه الطُّقُوس أن تَكُونَ بَسيطَةً جدَّاً وسهلَةَ الفَهم. كانَ هيكَلُ سُلَيمان مركَزَ عبادَةٍ مُزخرَفٍ وجميل، فيهِ كانت تتمُّ مُمَارَسَةُ نماذِج الطُّقُوس ذاتِها التي أُمِرَ بها وكانت تُمارَسُ في خيمَةِ العبادَةِ لقُرونٍ طَويلة.

يدَّعِي الأشخاصُ الذين ليسَ العَهدُ القَديمُ مألُوفاً بالنِّسبَةِ إليهِم أنَّهُ عندما علَّقَ الرُّومانُ يسُوعَ على الصَّليب، إختَرَعَ أتباعُهُ فِكرَةَ كَونِهِ حملَ الله. ولكنَّ يُوحنَّا المعمدان يُقَدِّمُ ذلكَ المَفهُوم في بدايَةِ خدمَةِ يسُوع المسيح. وينضَمُّ الرُّسُلُ إلى أنبياءِ العهدِ القَديم وإلى يُوحنَّا المعمدان، عندَما يَربِطُونَ موتَ المسيح معَ حملِ الفِصح، ومعَ العددِ الذي لا يُحصَى من

الحيوانات ِالتي كانت تُقدَّمُ كَذَبائِح في هَيكَلِ سُلَيمان، وفي خيمَةِ العبادَةِ في البَرِّيَّة (إشعياء ٥٣؛ ١بُطرُس ١: ١٨، ١٩؛ ٢: ٢٣، ٢٤؛ ٢كُورنثُوس ٥: ٢١).

الشَّاهِد

قبلَ أن ننتَهِيَ من حياةِ يُوحَنَّا المعمدان، يُوجَدُ مَفهُومٌ هامٌّ آخر ينبَغي أن نتعلَّمَهُ منهُ – ألا وهُوَ مفهُوم الشَّاهِد. قالَ يسُوع، "وتَكُونُونَ لي شُهُوداً في أُورشَليم واليَهُوديَّةِ والسَّامِرَة وإلى أقصَى الأرض." (أعمال ١: ٨).

ما هُوَ الشَّاهِدُ؟ الشَّاهِدُ هُوَ شَخصٌ إختَبَرَ أو لاحَظَ شَيئاً، وشَعَرَ بمَسؤُوليَّةِ الإخبارِ بما إختَبَرَهُ أو لاحَظَهُ. رُغمَ أنَّ كونَنا شُهُوداً يتعلَّقُ بمن نحنُ أكثر ممَّا يتعلَّقُ بما نعمَلُ، فإنَّ مسؤوليَّتَنا بأن نَكُونَ شُهُوداً تتطلَّبُ أكثَر من مُجرَّدِ من وماذا نحنُ. أن نَكُونَ شُهُوداً يعني التَّحدُّث علناً عمَّا لاحَظْنَاهُ وإختبرناهُ.

تصَوَّرْ أنَّكَ طُلِبتَ من قِبَلِ محكَمَةٍ لتَكُونَ شاهِداً. سيجعَلُونَكَ تقِفُ على مِنَصَّةِ الشَّاهِد، وسيطرَحُونَ عليكَ أسئِلَةً عمَّا إختَبَرتَهُ ولاحظتَهُ. أتساءَلُ ما إذا كانَتِ المحكَمَةُ ستُوافِقُ معكَ في حالِ رفَضتَ أن تَقُولَ أيَّ شَيءٍ مُدَّعِياً القَول: "سوفَ أجعَلُ حياتِي بِكُلِّ بساطَةٍ تكُونُ الشَّاهِد." فهل تَظُنُّ أنَّ هذا سيكُونُ مقبُولاً من المحكمَة. بالطَّبعِ لا، بل سوفَ تُرغَمُ على الكلام، وإلا تمَّ إتِّهامُكَ بإحتِقارِ المحكمة وبعدَمِ طاعَةِ السُّلطة. فالشَّاهِدُ يتكلَّمُ عمَّا سبقَ ولاحَظَهُ وإختَبَرَهُ.

وبما أنَّ مواعِظَ يُوحَنَّا المعمدان الرَّنَّانَة أَوصَلَتْهُ إلى الزَّنزانَة، فعندما أظهَرَ شجاعَةً كبيرَةً في مُواجَهَةِ خطِيَّةِ مَلِكٍ شِرِّيرٍ، أدَّى بهِ هذا الأمرُ إلى قَطعِ رَأسِهِ، الأمرُ الذي أظهَرَ بهِ لنا يُوحنَّا أنَّ الشَّاهِدَ هُوَ شَخصٌ يتكلَّمُ علانِيَةً. ومن خلالِ مثالِهِ، يُظهِرُ لنا معنىً آخر من معاني كون الإنسان شاهِداً. إنَّ الكَلِمَة اليُونانِيَّة التي يستَخدِمُها كُتَّابُ العهدِ الجديد للتَّعبير عن "شاهِد"، هي كلمَةٌ تشتَقُّ بِجَذرِها اللُّغَوي من: "شَهيد." بِحَسَبِ هذا الشَّاهد الأمين، كَشُهودٍ علينا أن لا نَجُوعَ ونعطَشَ للسَّعادَةِ والبَقاء، بل للبِرِّ الذي يجعَلُنا شهُوداً لمجدِ الله.

الفَصلُ الرَّابِع
"النِّعمَةُ والحَقُّ"

نَقرَأُ في مُقدِّمَةِ هذا الإنجيل: "ومِن مِلئِهِ نحنُ جَميعاً أَخَذنا، ونِعمَةً فوقَ نعمة. لأنَّ النَّامُوس بِمُوسى أُعطِيَ. أمَّا النِّعمَةُ والحَقُّ فَبِيَسُوع المسيح صارا." (يُوحنَّا ١: ١٧)

ماذا يعني هذا؟ كلمةُ نِعمة باليُونانِيَّة هي، "خارِيس." فعندما تَعمَلُ النِّعمَةُ في حياتِنا، تُسَمَّى "خاريسما أو خاريسماتا." فنِعمَةُ اللهِ تُعَرَّفُ كعَطفِ وبَرَكَةِ اللهِ التي لا نستَحِقُّها. فنحنُ لا نَستَحِقُّ شيئاً منَ الله. فكُلُّ ما يُعطينا إيَّاهُ اللهُ هُوَ نِعمَة.

ولكن، بالإضافَةِ إلى كَونِها عطف الله الذي لا نَستَحِقُّهُ، فإنَّ النِّعمَةَ هي أيضاً قُوَّة أو سُلطة الله. النِّعمَةُ هي قُوَّة الله الدِّيناميكيَّة. "النِّعمَةُ هي عملُ اللهِ فينا، ولكن بِدُونِنا." النِّعمَةُ هي تلكَ الولادَةُ الجديدةُ التي يُنجِزُها اللهُ فينا، بِدُونِ أيَّةِ مُساعَدَةٍ منَّا، بإستثناءِ إيمانِنا. "فمَشيئَةُ اللهِ لن تأخُذَنا أبداً إلى حيثُ لا تَستطيعُ نعمَةُ اللهِ أن تَحفَظَنا. هذه مُحاوَلَةٌ أُخرَى لإبرازِ معنَى هذا المَفهُوم لنعمَةِ الله.

وكَأَنَّنا نَقُولُ للهِ، "أنا لا أستَطيعُ." ويَقُولُ اللهُ، "أنا أعرِفُ ذلكَ، ولكنَّني أنا أستطيعُ. فإذا جعلتَ حياتَكَ تنسَجِمُ معِي بالطريقَةِ الصَّحيحَة، بإمكانِكَ أن تقبَلَ منِّي القُوَّةَ الدِّيناميكيَّةَ لتَكُونَ ولِتَعمَلَ ما أُريدُهُ. فكما ترى، ليسَتِ القَضِيَّةُ من أو ماذا أنتَ، أو ماذا تستطيعُ أو لا تستطيعُ أن تعمَلَ. بل القَضِيَّةُ هي من أنا، وما أستطيعُ أنا أن أعمَلَهُ. لِهذا، إجعَلَ نفسَكَ على إنسجامٍ معِي، ثُمَّ تعالَ وتحقَّق من أنَّني قادِرٌ أن أُؤَيِّدَكَ وأُزوِّدَكَ بالقُوَّةِ لتَكُونَ كُلَّ ما أُريدُكَ أن تَكُونَهُ، وأن تعمَلَ كُلَّ ما أُريدُكَ أن تعمَلَهُ. إتبَعْنِي وسأُظهِرُ لكَ صِحَّةَ هذا الأمر.

عندما يُفَكِّرُ كَثيرُونَ بأن يُصبِحُوا أتباعَ للمَسيح، ويرَونَ ما يعنيهِ هذا من تغييرٍ جَذرِيٍّ مُطلَق في أسلُوبِ حياتِهم، يَقُولُون، "أنا لا أستطيعُ أبداً أن أعمَلَ هذا. لا أستَطيعُ أن أعيشَ هكذا أبداً." بالطَّبعِ هُم على حَقّ. فلَيسَ بإمكانِكَ أن تعِيشَ هكذا؛ ليسَ بإستِطاعَتِكَ أن تعمَلَهُ؛ ولا يستطيعُ أيُّ كائِنٍ بَشَرِيٍّ آخر أن يعمَلَهُ، إلا إذا أُعطِيَت لهُ نعمَةُ الله. فإذا مُنِحَ نِعمَةَ اللهِ، بإمكانِهِ أن يعمَلَ ذلكَ. هذا هُوَ المَقصُودُ في الأعداد ١٥ إلى ١٧ حيثُ

نقرَأُ، "ومن مِلئِهِ نحنُ جميعاً أخَذنا، ونعمَةً فَوقَ نعمَة." تقُولُ إحدَى التَّرجَمات، "بركة فوقَ بَرَكة."

تُعتَبَرُ هذه أخباراً سارَّةً: "لأنَّ النَّامُوس بِمُوسَى أُعطِيَ، أمَّا النِّعمَةُ والحَقُّ فبِيَسُوع المسيح صارا." لقد أعطَى اللهُ شعبَهُ حقّاً رائعاً من خلالِ مُوسى. ولكن عندما أعطانا اللهُ إعلانَهُ الأعظَم للحَقِّ من خلالِ الكلمة الأزَلِيّ الذي صارَ جسداً، أعطانا أيضاً النِّعمَةَ الخارِقَةَ للطَّبيعة لتَطبيقِ هذا الحَقّ على حياتِنا. هذهِ إشارَةٌ بِدُونِ شَكّ إلى يومِ الخمسين، عندما حلَّ الرُّوحُ القُدُسُ على أتباعِ المسيح. ولقد تمَّ وصفُ نتائِجِ هذا الحَدَث العَجيب في سفرِ الأعمال بالطريقَةِ التَّالِيَة: "ونعمَةٌ عَظيمَة كانت على جَميعِهِم." (أعمال ٤: ٣٣)

لقد سبقَ وكانَت الأسفارُ المُقدَّسَةُ مُتَوفِّرَةً لدى المُؤمنينَ العبرانِيِّين الذي إختَبَرُوا العَنصَرَة. فلقد سبقُوا وأخذُوا نامُوسَ اللهِ من خلالِ مُوسى. ولقد تمتَّعُوا لقُرونٍ طَويلَة بالحقِّ الذي أظهَرَ لهُم كيفَ يَعيشُون، ولكن لم يَكُنْ لدَيهِم ديناميكيَّة تطبيق هذا الحقّ على حياتِهم. لِهذا حياةُ مُؤمِني العهدِ القَديم كانت دائماً تحذيراتٍ نتفاداها، بدل أن تَكُونَ لنا نماذِجَ نقتَدي بها (١كُورنثُوس ١٠: ١١).

يَقُولُ كُتَّابُ العَهدِ الجَديد، أمثال الرَّسُول بُولُس، أنَّ النَّامُوس هُوَ مُجَرَّد حَدٍّ مُستَقيم يُوضَعُ إلى جانِبِ إعوِجَاجِنا، ليُظهِرَ مدى إعوجاجِ طُرُقِنا (رُومية ٣: ١٩، ٢٠). يَقُولُ يعقُوبُ أنَّ كَلِمَةَ اللهِ هي بِمَثابَةِ مِرآةٍ يتوجَّبُ علينا أن نَنظُرَ إليَها في كُلِّ صَباحٍ، لِكَي نرى عُيُوبَنا (يعقُوب ١: ٢٢-٢٥). ولكن عندَما نرَى الإعوِجاج، وعندما نَرى العُيُوب، أينَ يُمكِنُ أن نَجِدَ السُّلطَةَ لِتقويمِ إعوِجَاجِنا، أو لنَقُومَ بالتَّصحيحاتِ التي نحتاجُ إليها في كُلِّ صَبَاحٍ عندما ننظُرُ إلى مرآةِ كَلِمَةِ الله؟ بِكَلِماتٍ أُخرى، أينَ يُمكِنُنا أن نَجِدَ النِّعمَةَ لتَقويمِ إعوِجاجِ حياتِنا؟

هذا ما يُخبِرُنا بِهِ يُوحَنَّا في هذه المُقدِّمَة، عندما يَقُولُ أنَّنا قد أخَذنا نِعمَةً فوقَ نِعمَة. هذه أخبارٌ سارَّةٌ جِدّاً: "لأنَّ النَّامُوس بِمُوسَى أُعطِيَ، أمَّا النِّعمَةُ والحَقُّ فبِيَسُوع المسيح صارا."

تَعالَيا وانظُرا

عندما قدَّمَ يُوحنَّا المعمدان يسُوع بأنَّهُ "حملُ الله" نقرأُ أنَّهُ كانَ هُناكَ أشخاصٌ معَ يُوحنَّا المعمدان كانُوا تلاميذَهُ. وكانَ أندراوُس واحِداً منهُم. ولكن لا يُخبِرُنا الكتابُ المُقدَّس من كانَ التِّلميذ الآخر. يعتَقِدُ المُفَسِّرُونَ أنَّ التِّلميذَ الآخر كانَ يُوحَنَّا، كاتِب هذا الإنجيل. ويعتَقِدُ المُفَسِّرُونَ بها لِسَبَبَين.

عندَما نقرَأُ أنَّ، "أندراوُس وجدَ أوَّلاً أخاهُ سِمعان،" يَقُولُ الأصلُ اليُونانِيُّ أنَّ أندراوُس كانَ أوَّلَ من وجدَ أخاهُ. وكانَ لِيُوحَنَّا أيضاً أخاً، وكانت مجمُوعتا هؤُلاء الإخوة شُركاءَ في صَيدِ السَّمَك. "كانَ أندراوُس أوَّل من وجدَ أخاهُ سِمعان (الذي أصبَحَ يُعرَفُ لاحِقاً بِإسم بُطرُس)، وقدَّمَهُ لِيَسُوع." هذا هُوَ جوهَرُ معنى هذه الكلمات اليُونانِيَّة.

السَّبَبُ الثَّانِي الذي لأجلهِ يعتَبِرُ المُفَسِّرُونَ أنَّ التِّلميذَ الآخر كانَ يُوحَنَّا، هُوَ أنَّ كاتِب هذا الإنجيل حَرِصَ دائماً على أن يختَفِيَ قدرَ الإمكانِ من نَصِّ الإنجيل الذي كتبَهُ، مُشِيراً إلى نَفسِهِ بالقَول، "التلميذ الذي كانَ يسُوع يُحِبُّهُ." ويتميَّزُ أُسلُوبُ كتابَةِ يُوحَنَّا بإخفاءِ المَعلُوماتِ التي تُوضِحُ أنَّهُ كانَ هُوَ ذلكَ التِّلميذ الآخر ليُوحنَّا المعمدان، والذي أصبَحَ لاحِقاً واحِداً من رُسُلِ يسُوع المسيح.

وعندَما أمَرَ يُوحنَّا المعمدان هذينِ التِّلميذَين بإتِّباعِ يسُوع:"إلتَفَتَ يسُوعُ ونَظَرَهُما يَتبَعانِ فقالَ لهُما ماذا تطلُبان. فقالا رَبِّي الذي تَفسيرُهُ يا مُعَلِّم أينَ تمكُث؟ فقالَ لهُما تعالَيا وانظُرا. فأَتَيا ونَظَرا أينَ كانَ يمكُثُ ومَكَثا عِندَهُ ذلكَ اليوم." يوحنَّا١: ٣٥ -٣٩.

وقُلتُ في مُقَدِّمَتِنا أن ننظُرَ دائماً إلى المعنى الأعمَق في إنجيلِ يُوحَنَّا. فَهُناكَ دائماً معنىً أعمَق في إنجيلِ يُوحنَّا. فما هو الذي كانَ يحدُثُ هنا، عندما قِيلَ لِتِلمِيذَي يُوحنَّا المعمدان أن يتبَعا يسُوع؟ بينما تَبِعا يسُوع، إلتَفَتَ يسُوعُ إليهِما ودارتَ بينَهما وبينَهُ هذه المُحادَثة. فكانَ سُؤالُهُ لهُما، "ماذا تُريدان؟" كانَ هذا سُؤالاً عميقاً. فلقد خَلَقنا اللهُ كصاحِبي خيار. وهذا أمرٌ مُقدَّسٌ بالنِّسبَةِ لله. فاللهُ لن ينتَهِكَ حُرِّيَّةَ الإرادَةِ والإختِيار التي أعطاها للإنسان. نحنُ مخلوقات ذات خيار، وبإمكانِنا أن نجعلَ الأُمُور تسيرُ على ذوقِنا.

يُعطينا سفرُ المزامير الوعدَ العَظيمَ بأنَّ اللهَ سيُعطينا رَغَباتِ قُلُوبِنا (مَزمُور ٣٧: ٤). مُؤمِنُونَ كَثيرون يُطالِبُونَ بهذا الوعدِ العظيم، وهُوَ بالفعلِ كذلكَ. وهُوَ أيضاً تَحَدٍّ عظيم، لأنَّهُ يطرَحُ السُّؤال، ما هي رغباتُ قَلبِكُم؟ هل تُريدُونَ أن تستَرخُوا وتستسلِموا للكَسَلِ والنَّوم؟ هل تُريدُونَ أن تكُونُوا ذَوي أخلاقٍ مُنحَلَّة؟ إن كانَ هذا ما ترغَبُونَ بِه، فالمُشكِلة بينَ أيدِيكُم، والحياةُ هي حياتُكُم. فيتوجَّبُ علينا أن ندفعَ ثمنَ عواقِب خياراتِنا، ولكن بإمكانِنا أن نَعيشَ حياتَنا بالطريقَةِ التي نُريدُ.

قالَ الشاعِرُ، "عاجِلاً أم آجِلاً، سيجلِسُ كُلُّ إنسانٍ ليتناوَلَ الطعامَ على مائِدَةِ عواقِب خياراتِهِ." إنَّ هذه الكلمات صحيحَةٌ لِلغَاية. وكثيراً ما إستَخدَمَ يسُوعُ حُجَّةَ العواقِب في تعليمِهِ (متَّى ٧: ١٣- ٢٧). فالحَياةُ هي مائِدَةُ عواقِب. وجميعُنا علينا أن نأكُلَ مائِدَةَ عواقِب خياراتِنا، عاجِلاً أم آجِلاً. هذا الواقِع يجعَلُ من السُّؤالِ التَّالي سُؤالاً بالِغَ الأهمِّيَّة: "ماذا تُريدُ؟ وما هِيَ رَغَباتُ قَلبِكَ؟"

ولكنَّ هذين الرَّجُلَين طرَحا سُؤالاً عمَلِيَّاً للغايَة. كانَ هذا السُّؤال، "يا مُعَلِّم، أينَ تمكُثُ؟" كانَ السؤالُ يقُول بالحقيقة، "أينَ تعيشُ أيُّها المُعلِّم؟ أقصُدُ، عندما تكُونُ في مُعتَرَكِ الحياة، هل تعمَلُ مبادِئُكَ هُناك؟ لطالَما إعتَقَدتُ أنَّ كُلَّ راعِي كَنيسة ينبَغي أن تَكُونَ هذه الكلماتُ منقُوشَةً على جُدرانِ مكتَبِهِ: "أيُّها الرَّاعِي، أينَ تَمكُثُ؟" فأهمُّ عِظَةٍ نُلقِيها في الحياةِ هي الحياةُ التي نحياها في هذا العالم يَومِيَّاً.

هذا السُّؤالُ الذي طرحَهُ يسُوعُ على هذينِ التِّلميذَين، هُوَ سُؤالٌ نحتاجُ أن نُرَكِّزَ عليهِ، بينَما نَصِلُ إلى كلمةِ اللهِ وتَصِلُ كلمةُ اللهُ إلينا: ماذا تُريدُ؟ كانَ هذا سؤالاً إستِفزازِيَّاً عميقاً. الأجوبَةُ الصَّحيحَةُ على هذا السُّؤال، ستُؤثِّرُ بطريقَةٍ ديناميكيَّةٍ حيويَّة على نَوعِيَّةِ الحياة التي نعيشُها في إتِّباعِنا لمُخَلِّصِنا ورَبِّنا يسُوع المسيح.

لقد كانَ هؤلاء الرِّجال عمَلِيِّينَ لِلغَاية. كانُوا رِجالَ أعمال. وكانُوا مُهتَمِّينَ بالتَّطبيقاتِ العمليَّة لتعليمِ يسُوع. كانُوا يقُولونَ لِيَسُوع عندما إلتَقُوا بِهِ وسألُوهُ سُؤالَهُم، "أنظُرْ يا مُعلِّم، نحنُ لا نرغَبُ بتَعَلُّمِ لاهُوتٍ على اللَّوح. ولا نُريدُ شيئاً يبدُو جميلاً على صفحاتِ كتابٍ لاهُوتِيّ. بل نُريدُ أن

نعلَمَ، أينَ تعيشُ أنتَ هذا التعليم؟ ونُريدُ أن نعلَمَ ما إذا كانَ هذا التَّعليمُ يعمَلُ حيثُ نعيشُ حياتَنا اليوميَّة؟"

ولقد كانَ يسُوعُ عمليَّاً كما كانُوا هُم أيضاً، لأنَّهُ مثلَ أيِّ مُعلِّمٍ صالِحٍ آخر، أجابَ على سُؤالِهم بدَعوَتِهِ لهُم في العدد ٣٩ قائِلاً: "تعالَيا وانظُرا." ثُمَّ نقرَأُ بعضَ الكلماتِ الجميلة: "فأتيا ونظرَا أينَ كانَ يمكُثُ ومَكَثا عندَهُ ذلكَ اليوم." كما قُلتُ في المُقدِّمَة، تُتابِعُ القِصَّةُ لِتُخبِرَنا أنَّ هؤلاء التلاميذ جميعاً عاشُوا من أجلِ يسُوع. بالواقِع، بِحَسَبِ كلمةِ اللهِ المُقدَّسة وبحسبِ التقليدِ الكَنَسِيّ، كُلُّ واحِدٍ من تلاميذِ يسُوع ماتَ من أجلِهِ، بسبب ما رأَوهُ عندما إلتَزموا بأن ينظُرُوا أينَ كانَ يمكُثُ.

وكما أشَرتُ سابِقاً، لا يُخبِرُنا يُوحنَّا بأنَّهُ علينا أن نُؤمِنَ فحَسب، بل ويشرَحُ لنا ماذا يعني أن نُؤمِنَ. لَدَينا مِثالٌ عظيمٌ على هذا هُنا. فالإيمانُ هُوَ أن نلتَزِمَ بأن نأتِيَ وننظُرَ. أن نأتِيَ ونمشِيَ مع يسُوع، لنَسأَلَهُ أن يُرِيَنا كيفَ نعيش، وأن نطلُبَ مِنهُ أن يمنَحَنا نعمَةَ العَيش بهذه الطريقة.

هل سبقَ لكَ وفعلتَ هذا؟ هل سبقَ لكَ وأتَيتَ إلى المسيح المُقام الحَي وقُلتَ لهُ، "أُريدُكَ أن تَكُونَ رَبِّي وأُريدُ أن أتبَعَكَ. أُريدُ أن أقبَلَ منكَ نعمَةَ إتِّباعِكَ. أُريدُ أن آتِيَ وأن أنظُرَ كيفَ أنَّ كُلَّ الحقّ الذي أتيتَ بهِ إلى هذا العالم، والنِّعمَة لِتَطبيقِهِ، كيفَ يعمَلُ هذا في واقِعِ الحياة حيثُ أحيا كُلَّ يوم. أُريدُ أن أتَأكَّدَ من كَونِ هذا سينجَحُ حقَّاً."

علينا أن نسأَلَ وأن نجِدَ الأجوبَةَ على هذينِ السُّؤالَين عبرَ إنجيلِ يُوحَنَّا: من هُوَ يسُوع، وما هي الحياة؟ هذه هي الحياةُ: الحياةُ هي تلكَ النَّوعِيَّة منَ العَيش التي تنتُجُ عن إتِّخاذِ النَّاس الإلتِزام بالإعتِرافِ بحقيقَةِ كونِ يسُوع حملَ الله، ومن ثَمَّ أن نأتِيَ ونلتَزِمَ بإتِّباعِهِ، لكي يُظهِرَ لنا في أوضاعِ الحياةِ الواقِعيَّة مدى حقيقيَّةِ أنَّ النِّعمَةَ والحقَّ قد صارا في يسُوع المسيح.

أُشَجِّعُكَ أن تُتابِعَ معنا هذه الدِّراسَة لإنجيلِ يُوحنَّا. وبينما نتجوَّلُ عبرَ هذا الإنجيل الرَّائع، إصحاحاً بعدَ الآخر، وعدداً بعدَ الآخر، سوفَ نكتَشِفُ من هُوَ يسُوع، ما هُوَ الإيمانُ، وما هي الحياةُ.

الفَصلُ الخامِس

"الوِلادَةُ الجديدة: ماذا، لِماذا، وكيف؟"

"وفي اليومِ الثالِثِ كانَ عُرسٌ في قانا الجَليل. وكانت أُمُّ يسُوعَ هُناك. ودُعِيَ أيضاً يسُوعُ وتلاميذُهُ إلى العُرس. ولمَّا فَرَغَتِ الخَمرُ قالَت أُمُّ يسُوعَ لهُ ليسَ لهُم خَمرٌ. قالَ لها يسُوع مالي ولكِ يا إمرأة. لم تأتِ ساعَتي بعد. قالَتْ أمُّهُ لِلخُدَّام مهما قالَ لكُم فافعَلُوهُ. وكانت سِتَّةُ أجرانٍ من حِجارَةٍ موضُوعَةً هُناكَ حَسبَ تَطهِيرِ اليهُود يسَعُ كُلُّ واحِدٍ مَطَرَين أو ثَلاثة. قالَ لَهُم يسُوع إملأُوا الأجرانَ ماءً. فملأُوها إلى فَوق. ثُمَّ قالَ لهُم إستَقُوا الآنَ وقدِّمُوا إلى رَئيسِ المُتَّكإ. فقدَّمُوا. فلمَّا ذاقَ رَئيسُ المُتَّكَإِ الماءَ المُتَحَوِّلَ خَمراً ولم يكُنْ يعلَمُ مِن أينَ هي. لكنَّ الخُدَّام الذين كانُوا قدِ إستَقُوا الخَمرَ علِمُوا. دعا رَئيسُ المُتَّكَإِ العَريسَ. وقالَ لهُ. كُلُّ إنسانٍ إنَّما يَضَعُ الخَمرَ الجَيِّدَةَ أوَّلاً ومتى سَكِرُوا فحِينئذٍ الدُّون. أمَّا أنتَ فقد أَبقَيتَ الخَمرَ الجَيِّدَةَ إلى الآن. هذه بِدايَةُ الآيات التي فعلَها يسُوعُ في قانا الجَليل وأظهَرَ مجدَهُ فآمنَ بهِ تلاميذُهُ."

أخبَرَنا يُوحنَّا أنَّ هدَفَهُ المُعلَن من كتابَتِهِ هذا الإنجيلِ الرَّابِع، هُوَ أن يُخبِرَنا عن عدَّةِ آياتٍ عمِلَها يسُوعُ، وبراهينُ عجائبيَّةٌ كَثيرة أعطانا إيَّاها، لأنَّهُ آمنَ أنَّهُ إذا جمعَ هكذا سِجِلٍّ بالآياتِ والمُعجِزات، وإذا تفحَّصنا نحنُ هذا السِّجِلّ، فهذا ينبَغي أن يُقنِعَنا بأنَّ يسُوعَ هُوَ المَسيَّا، المسيح، إبن الله. يُريدُنا يُوحَنَّا أن نُؤمِنَ بهذا، لأنَّهُ بحَسَبِ يُوحَنَّا، بإيمانِنا بمسياوِيَّةِ وبُنُوَّةِ يسُوع، نَنالُ الحياةَ الأبديَّة. منَ المُثِيرِ للإهتِمامِ أنَّهُ، بعدَ أن أخبَرَنا بما سيُخبِرُنا بهِ، وبعدَ أن عبَّرَ عن قَصدِهِ من كتابَةِ إنجيلِهِ، عندما بدأَ يُوحنَّا بإخبارِنا بهذه الآيات، أوَّلُ آيَةٍ أخبَرَنا عنها يُوحَنَّا كانت عن ذَهابِ يسُوع إلى حفلِ عُرسٍ، وأنَّهُ عندَما فرغَ منهُمُ الخَمرُ، حوَّلَ يَسُوعُ الماءَ خمراً.

في كلمةِ الله، الخمرُ هُوَ رمزُ الفَرَح والسعادة. أنا مُقتَنِعٌ أنَّهُ بالإضافَةِ إلى كَونِ هذه الحادِثَةَ مُعجِزَةً بالمعنى الحَرفِيّ للكَلِمَة، ولكنَّها أيضاً مجازٌ جَميل. وكما أشَرتُ سابِقاً، عندما أقُولُ أنَّ هذه القِصَّة هي مجازٌ، أنا لا أقصُدُ أنَّها لَيسَت قِصَّةً حقيقيَّة. فالمَجازُ هُوَ قِصَّةٌ يتَّخِذُ فيها الأشخاصُ، والأماكِنُ والأشياءُ معنىً أعمَق، لهُ دلالَةٌ أخلاقِيَّةٌ أو رُوحيَّة.

هذه القِصَّة هي مجازٌ ينطَبِقُ على هدَفِ هذا الإنجيل. أخبَرَنا يُوحنَّا أنَّهُ كانَ سيُخبِرُنا أنَّهُ عندما يتجاوَبُ النَّاسُ بِطَريقَةٍ صحيحَةٍ معَ يسُوع، كانُوا سيُولَدُونَ من فَوق، أو سَيُولَدُونَ منَ الرُّوح. هذه المُعجِزَةُ الجَميلة هي صُورَةٌ مجازِيَّةٌ عنِ الولادَةِ منَ الله. هذه القِصَّة عن مُعجِزَةٍ عَظيمَةٍ تُقَدِّمُ لنا مجازاً عنِ التَّجديد.

الخُطوَةُ الأُولى في الولادَةِ الجديدة، مُصَوَّرَةٌ في كَلِماتِ مَريم عندما أتَت إلى يَسُوعَ قائِلَةً، "لَيسَ عندَهُم خَمرٌ." مجازِيَّاً، وكأنَّ المقصُودَ هُوَ القَول: ليسَ عندَهُم سعادةٌ، أو لَيسَ عندهُم فَرَح. إنَّ آلامَ شعبِ اللهِ في تلكَ المرحلَة تُفَسِّرُ لماذا لم يَكُنْ لدَيهِم فَرَح. فلقد كانت أرضُهُم مُحتَلَّةً من رُوما، وكانوا تحتَ قبضَةِ الإحتلالِ الرُّومانِيّ الحديديَّة.

لَرُبَّما تَقُولُ لنا هذه المُعجِزَة اليوم أنَّ الخُطوَةَ الأُولى في الولادَةِ الجديدة، هي الإعتِراف أنَّنا غير مَولُودين من فَوق. إقرأُوا الوصفَ الكِتابِيَّ لِشخصٍ مَولُودٍ من جَديد: "إن كانَ أحدٌ في المسيح، فهُوَ خَليقَةٌ جديدة. الأشياءُ العَتيقَةُ قد مَضَت، هُوَّذا الكُلُّ قد صارَ جديداً. ولكنَّ الكُلَّ منَ الله (أو: هذا شَيءٌ يعمَلُهُ الله)." (٢كُورنثُوس ٥: ١٧)

عِندَما تتأمَّلُ بِثمارِ الرُّوح، أو بالحياةِ الفَيَّاضَة التي ينبَغي أن يختَبِرَها شَخصٌ وُلِدَ من جَديد، هل تقُولُ، "هذا لا يتكلَّمُ عنِّي؟" (غلاطية ٥: ٢٢، ٢٣؛ يُوحَنَّا ١٠: ١٠). مجازِيَّاً، وكأنَّكَ تَقُولُ، "ليسَ لدَيَّ خَمرٌ." بِحَسَبِ هذا المجاز، هذه هي الخُطَوَةُ الأُولى التي ينبَغي عليكَ إتِّخاذُها إذا أردتَ أن تُولَدَ من جَديد. إعتَرِفْ بأنَّهُ ليسَ لديكَ خَمرٌ، ولا فَرَحٌ حقيقيٌّ، أو بِكَلماتٍ أُخرى أنَّكَ لم تُولَدْ من جديد.

ثُمَّ نَجِدُ أنَّ الخُطَوَةَ الثانِيَة قد تكُونُ في هذه الصُّورَةِ المجازِيَّةِ عنِ الولادَةِ الجديدة، حيثُ قالَ يسُوعُ للخُدَّام أن يملأُوا بالماءِ تلكَ الأجران التي كانَ يتَّسِعُ كُلٌّ منها لِثمانِينَ لِيتراً منَ الماء. ففي كلِمَةِ الله، يرمُزُ الماءُ إلى كلمةِ اللهِ بحدِّ ذاتِها (أفسُس ٥: ٢٦).

كَلِمَةُ اللهِ هي الواسِطَة التي سيَستَخدِمُها اللهُ عندما يعمَلُ هذه المُعجِزَة في حياتِنا. مَثَلاً، كتبَ الرَّسُولُ بُولُس يَقُولُ: "الإيمانُ بالخَبَرِ، والخَبَرُ بِكَلِمَةِ الله." (رُومية ١٠: ١٧) كتبَ بُطرُس يَقُولُ أنَّ الولادَةَ الجديدة هي مثل الولادَة الجسديَّة. يقُولُ بطرُس أنَّكَ عندما تُولَدُ من فوق، أو تُولَدُ رُوحيَّاً،

تماماً كما أنَّهُ في الولادَةِ الجَسَدِيَّة هُناكَ بُويضَةٌ وبِذرَةٌ، وهكذا يحدُثُ التلقيحُ والحملُ بحياةٍ جَنينيَّة، ومن ثَمَّ يأتي مخاضُ الولادة، ثُمَّ النمُوّ والتطوُّر. يقُولُ بطرُس في رسالتِهِ الأُولى الإصحاح الأوَّل، أنَّهُ في الولادَةِ الرُّوحيَّة، أو الولادَةِ الجديدة، أي الولادة من الله أو من الرُّوح، البِذرَةُ هي كلمةُ الله (١بُطرُس ١: ٢٣). أنا مُقتَنِعٌ أنَّ الرَّمزَ المجازِيّ لملءِ الأجرانِ بالماء، يُصَوِّرُ لنا الخُطوَةَ الثَّانِيَة في عمَلِيَّةِ الولادَةِ من جديد: فسُرعانَ ما تعتَرِفُ بكَونِكَ غير مَولُود ثانِيَةً، إذا أردتَ أن تُولَدَ من فَوق، إملأْ إناءَكَ، وعقلَكَ وحياتَكَ بكلمَةِ الله.

لِهذا وضعَ اللهُ على قَلبِي هدَفَ كتابَةِ موادّ "مدرَسَةِ الكتابِ المُقدَّس المُصَغَّرَة." لقدِ إكتَشَفتُ أنَّهُ عندما يَصِلُ النَّاسُ إلى كَلِمَةِ الله، وعندما تَصِلُ كَلِمَةُ اللهِ إليهِم، وعندَما يملأُونَ آنِيَتَهُم بكَلِمَةِ الله، غالِباً ما يُولَدُونَ من جَديد، لأنَّ الإيمانَ يأتي بِسَماعِ كَلِمَةِ الله، وكَلِمَةُ اللهِ المُوحَى بها هي البِذرَةُ التي تُحدِثُ الولادَةَ الجديدة. لهذا، إن أردتَ أن تُولَدَ من جديد، إملأْ إناءَكَ، إملأْ عقلَكَ، إملأْ قَلبَكَ، وإملأْ حياتَكَ بِكَلِمَةِ الله. هذه هي الخُطوَةُ الثَّانِيَة في عمليَّةِ الولادَةِ الجديد، التي تُعَلِّمُنا إيَّاها هذه القِصَّة مجازِيّاً.

الخُطوَةُ الثالِثة في هذه القِصَّة المجازِيَّة المُتَعَلِّقَة بالولادَةِ الجديدة، نَجِدُها مُصَوَّرَةً عندما قالَت مريم للخُدَّام، "مهما قالَ لكُم إفعَلُوهُ." تطبيقيّاً، الخُطوَةُ التَّالِيَة في عَمَلِيَّةِ الولادَةِ الجديدة هي: عندما تملأُ إناءَكَ بماءِ الكَلِمَة، "مهما يَقُولُهُ لكَ إفعَلْهُ!"

عندما تقرأُ كلِمَةَ الله، سوفَ تكتَشِفُ أنَّ المبدَأَ الذي يجعَلُ من كَلِمَةِ اللهِ أن تُصبِحَ حيَّةً، ليسَ التآلُفَ معَ الكلمة. بَلِ العامِلُ الحيويُّ الذي يجعَلُ من كَلِمَةِ اللهِ قُوَّةً مُعطِيَةً للحياةِ عندما نقرَأُها، هو ما تعمَلُهُ حيالَ ما تعلَمُهُ. مُعظَمُنا لا يحتاجُون أن يسمَعُوا المزيد؛ بل نحتاجُ أن نسمَعَ بشكلٍ أفضَل. بِحَسَبِ مَثَلِ الزَّارِع، عندما نُطِيعُ كلِمَةَ الله التي زُرِعَت في حياتِنا، سوفَ نحمِلُ الكَثيرَ منَ الثِّمار (لُوقا ٨: ١٥).

لذلكَ، بينما تملأُ ذِهنِكَ وقَلبَكَ بكلمةِ الله، إذا سَمِعتَ صَوتَ اللهِ يَقُولُ لكَ أن تعمَلَ شَيئاً، إعمَلْهُ بإستِمرار. ولَرُبَّما بينما تملأُ إناءَكَ بِكَلِمَةِ الله، فإنَّ الرُّوحَ القُدُسَ سيُبَكِّتُكَ على أمرٍ مُعَيَّنٍ تعمَلُهُ، وسوفَ يَقُولُ، "كُفَّ عن عمَلِ هذا الأمر." فعندما يحدُثُ مثلُ هذا الأمر، أطِعْهُ بإستِمرار.

الخُطوَةُ الرَّابِعَة في هذه الصُّورَةُ المَجَازِيَّةُ للولادَةِ الجديدة هي: عندما تكُونُ قدِ إنتَهَيتَ منَ الخُطوَةِ الأُولى، الثَّانِيَة والثَّالِثَة، خُذِ الماءَ الذي سبقَ وتمَّ تحوِيلُهُ خمراً، وقَدِّمْهُ. وتماماً كما حدَثَ في مُعجِزَةِ إطعامِ الخَمسة آلاف، عليكَ أن تَطرَحَ السُّؤال، "متَى حدَثَت هذه المُعجِزَة؟" "وبالتَّحديد، مَتَى أصبَحَ المَاءُ خمراً؟" أنا مُقتَنِعٌ أنَّ هذه المُعجِزَة حدَثَت عندما كانَ لدى الخَدَم الإيمانُ الكافِي لِيُقَدِّمُوا الماءَ الذي أخبرَهُم يسُوعُ بأنَّهُ أصبَحَ خمراً.

رِسالَةُ هذا الجزء من هذه الصُّورَةِ المجازِيَّة هي: عندما يُحَوِّلُ المسيحُ ماءَكَ خمراً، شارِكْ هذه المُعجِزة العظيمة معَ الآخرين. فإختِبارُكَ لِلولادَةِ الجديد ينبَغي أن يعمَلَ فَرقاً في علاقاتِكَ معَ الآخرين. فإن كُنتَ بالفِعل قد وُلِدتَ من جديد، هل ستعلَمُ زوجَتُكَ بذلكَ؟ أو هل سيعلَمُ زَوجُكِ بِذلكَ؟ وهل سيعَلَمُ أهلُكَ بِذلكَ؟ وهل سيَكُونُ هذا واضِحاً لأَولادِك؟ وهَل سيعلَمُ بذلكَ النَّاسُ الذين تعمَلُ معَهُم.

بالطَّبعِ سيعلَمُون، لأنَّ إختِبارَكَ لِلولادَةِ الجديدة لن يُغَيِّرَكَ أنتَ فَحَسب، بل وسَيُغَيِّرُ علاقَاتِكَ أيضاً بِعُمق. بينما أصبَحَ الماءُ خمراً عندما كانَ يتمُّ توزيعُهُ، هكذا أيضاً عندَما نُشارِكُ هذه الحياة الجديدة في علاقاتِنا يَتَكَمَّلُ إختِبارُنا لهذه المُعجِزَة. إنَّ مُعجِزَةَ صيرُورَةِ الماءِ خَمراً هي مجازٌ لما أخبَرَنا عنهُ يُوحَنَّا المعمدان بأنَّهُ سيَحدُثُ، والذي كانَ أنَّ النَّاسَ كانُوا يُولَدُونَ رُوحيَّاً عندَما يتجاوَبُونَ معَ يسُوع ومَعَ كَلِمَتِهِ.

إنَّ قِصَّةَ هذه المُعجِزَةِ الجميلة يُمكِنُ أيضاً أن تُشِيرَ إلى صُورَةٍ مجازِيَّةٍ عنِ النَّهضَة. فبعدَ أن تختَبِرَ الولادَةَ الثَّانِيَة، سوفَ تأتي أوقاتٌ ستَشعُرُ فيها أحياناً أنَّكَ بحاجَةٍ لتُولَدَ ولادَةً ثانِيَةً من جديد. ولكنَّ الحقيقَةَ هي أنَّكَ لا تحتاجُ إلى إختبارٍ آخر لولادَةٍ جديدة. بل كما قالَ يسُوعُ لِبُطرُس في عِظَةِ العُلِّيَّة، عندما تغتَسِلُ بالتَّجديدِ والولادَةِ الثَّانِيَة، ثُمَّ تتَّسِخُ قدماكَ من غُبارِ هذا العالم، لن تحتاجَ عندَها للإستِحمامِ ثانِيَةً. بل كُلُّ ما تحتاجُهُ هُوَ فقط أن تغسِلَ رِجلَيك." (يُوحَنَّا ١٣: ١٠).

في هذه المُعجِزَة العَظيمة التي حقَّقَها يسُوع، نَجِدُ مُعادَلَةً يُمكِنُ إستِخدامُها عندما نجدُ أنفُسَنا بِحاجَةٍ لنَهضَة: الخُطوَةُ الأُولى هي أن تعتَرِف أنَّكَ ليسَ لدَيكَ خَمرٌ (مَزمُور ٥١: ١٢). أي إعتَرِفْ بِبَساطَةٍ لله قائِلاً: "لم يَعُد لديَّ ذلكَ الفَرح الذي كانَ ينبَغي أن يَكُونَ لَدَيَّ. لقد فقدتُ بَهجَةَ

خَلاصِي. ليسَ لدَيَّ خَمرٌ." الخُطوَةُ الثانِيَة هي أن تملأَ إناءَكَ بِكَلِمَةِ الله. إذهَبْ في خُلوَةٍ رُوحيَّةٍ إلى مكانٍ مُنعَزِل. إملأْ قلبَكَ وذِهنَكَ بكلِمَةِ الله.

الخُطوَةُ الثالِثة، بينما يحدُثُ هذا، أصغِ إلى صَوتِ الله، لأنَّهُ سوفَ يُرَكِّزُ على أمرٍ مُعَيَّن ويَقُولُ لكَ، "لا تَفعَلْ ذلكَ." مهما قالَ لكَ، إفعَلْهُ. وهكذا ستختَبِرُ تجديداً رُوحِيَّاً. ثُمَّ الخُطوَةُ الرَّابعة: أُطلُبْ منَ اللهِ أن يستَخدِمَ نهضَتَكَ الشَّخصِيَّة، لِيَجعَلَ منكَ برَكَةً لِكُلِّ النَّاس الذينَ تلتَقيهِم في حياتِكَ. عندما تكُونُ قدِ إتَّخَذتَ الخُطواتِ الأربَع المُوضَّحَة مجازِيَّاً في هذه المُعجِزَة، ستَكتَشِفُ أنَّ حياتَكَ في المسيح قد تجدَّدَت.

التأثيرُ المُباشَر لهذه المُعجِزة كانَ أنَّهُ وللمرَّةِ الأُولى، آمنَ التَّلاميذُ بيسُوع. فعندما سألُوهُ أينَ يمكُثُ، ودعاهُما ليأتُوا وينظُرُوا أينَ يمكُثُ، كانت تلكَ بِدايَةُ رحلَةِ إيمانِهم الطَّويلة. ولكن يُوحَنَّا يُخبِرُنا بِوُضُوحٍ أنَّ التَّلاميذَ آمنُوا للمرَّةِ الأُولى عندما رأَوا يسُوعَ يُحَوِّلُ الماءَ إلى خَمرٍ. بِحَسَبِ هذا الإنجيل، إختبَرَ التَّلاميذُ إعلاناً مُستَمِرَّاً لما هُوَ الإيمانُ، بينما كانُوا يتبَعُونَ يسُوع. نَكتَشِفُ إستِعارَةً مجازِيَّةً أُخرى في إنجيلِ يُوحَنَّا الإصحاح الثَّانِي. فَفِي نهايَةِ هذا الإصحاح، نقرَأُ أنَّهُ بينما كانَ يسُوعُ في أُورشَليم، آمنَ بهِ الكَثيرُونَ عندَما رأوا الآياتِ التي كانَ يُحَقِّقُها. "لكنَّ يسُوعَ لم يأتَمِنْهُم على نَفسِهِ لأنَّهُ كانَ يعرِفُ الجَميع. ولأنَّهُ لم يَكُنْ مُحتاجاً أن يَشهَدَ أحدٌ عنِ الإنسان لأنَّهُ عَلِمَ ما كانَ في الإنسان." (يُوحَنَّا ٢: ٢٣- ٢٥).

هذا جوابٌ آخر مُثيرٌ للإهتِمامِ على السُّؤال، "ما هُوَ الإيمانُ؟" هذه الأعدادُ تُخبِرُنا عمَّا هُوَ الإيمانُ، وذلكَ بإخبارِنا عمَّا ليسَ هُوَ الإيمانُ. كُلُّ من يعتَرِفُ بالإيمان ليسَ بالضَّرُورَةِ مُؤمِناً حقيقِيَّاً. لقد آمنَ هؤُلاء لأنَّهُم رأُوا مُعجِزاتِ يسُوع. ومن لا يُؤمِنُ عندما يرى عجائِب؟ ولكن هل التِّلميذُ الحقيقِيُّ لِيَسُوع هُوَ الذي يُؤمِنُ عندما يرى مُعجِزَة؟

بِحَسَبِ هذه الإستِعارَة السَّلبِيَّة، الإيمانُ هُوَ طريقٌ بإتِّجاهَين. الإيمانُ هُوَ شَخصٌ مُؤمِنٌ يلتَزِمُ بالمسيح ويلتَزِمُ المسيحُ بهِ. "هَلُمُّوا ورائي فأجعَلَكُم." (متَّى ٤: ١٩) بهذه الطريقة يعمَلُ الإيمانُ بالمسيح. أنتَ تلتَزِمُ بإتِّباعِهِ، وهُوَ يلتَزِمُ بأن يجعَلَ من حياتِكَ شيئاً مُهِمَّاً نافِعاً. يبدُو أنَّهُ في هذه الحال، آمنَ هؤُلاء النَّاس، ولكنَّ إيمانَهُم كانَ مُجَرَّدَ إعتِرافٍ عقلانِيّ وليسَ

إلتزاماً قَلبِيّاً. ولكنَّ يسُوعَ لم يأتَمِنْهُم على نَفسِهِ، لأنَّهُم هُم لم يَلتَزِمُوا بهِ ولم يأتَمِنُوهُ على أنفُسِهِم (يُوحَنَّا ٢: ٢٩؛ رُومية ١٠: ٩)

في هذا الإصحاح، سجَّلَ يُوحَنَّا أيضاً حَدَثَ تطهير المسيح للهَيكَل. ونَجِدُ تطهيرَ المسيحِ للهَيكَل مُسَجَّلاً أيضاً في الأناجيل المُتشابِهَةِ النَّظرَة. الأناجيلُ الأُخرى تَضَعُ تطهيرَ الهيكل في بدايَةِ خدمَةِ يسُوع. أمَّا إنجيلُ يُوحَنَّا فيَضَعُهُ في بدايَةِ خدمَةِ يسُوع العلنيَّة التي إستَمَرَّت ثلاث سنواتٍ ونِصف. الطريقَةُ الوحيدَةُ لتوفيقِ هذا التَّناقُضِ الظَّاهِر هي بالقَولِ أنَّ تطهيرَ الهَيكَل حدَثَ مرَّتَين. مُلاحَظَةٌ أُخرى هي أنَّ يُوحَنَّا لم يَكُنْ مُهتَمّاً بالدِّقَّةِ التَّاريخيَّة كما كانَ لُوقا. بل كانَ يُحاوِلُ أن يُقنِعَنا بِحُجَّتِهِ الأساسيَّة عن يسُوع، ألا وهِيَ أنَّهُ كانَ المسيح، إبن الله.

المغزَى من تطهير الهَيكَل كما هُوَ مذكُورٌ في إنجيلِ يُوحَنَّا، هُوَ أنَّ هذا الحَدَث تكلَّمَ عن أهَمِّ علامَةٍ يُخبِرُنا بها يُوحنَّا، تُبَرهِنُ أنَّ يسُوع هُوَ المسيح. عندما قالَ يسُوعُ أنَّهُ كانَ اللهَ وكانَ المسيَّا، كانَ يَقُولُ لهُ رجالُ الدِّينِ بإستمرار، "أيَّةُ آيَةٍ تصنَعُ لتُرِيَنا هذا؟" وذاتَ مَرَّةٍ عندما طلَبُوا آيةً من يسُوع، أجابَهُم يسُوع، "جيلٌ شِرِّيرٌ وفاسقٌ، يطلُبُ آيَةً، ولا تُعطَى لهُ آيَةٌ إلا هذه: أنقُضُوا هذا الهَيكَل (قاصِداً جَسَدَهُ)، وفي ثلاثَةِ أيَّامٍ أُقيمُهُ." متَّى ١٢: ٣٩- ٤١).

يُخبِرُنا يُوحَنَّا أنَّنا عندما قامَ يسُوعُ منَ الموت، تذكَّرَ تلاميذُهُ أعدادَ العهدِ القديم التي تنبَّأَت عن قِيامَتِهِ، مثل المزمُور السَّادِس عشَر، الذي وعظَ منهُ بُطرُس عظتَهُ يومَ الخمسين. ولقد تذَكَّرُوا أيضاً ذلكَ التصريح الذي سمِعُوا يسُوعَ يُقَدِّمُهُ (يُوحَنَّا ٢: ١٩- ٢٢). في إطارِ تطهيرِ الهَيكَل، أعطانا يسُوعُ علامَةً هامَّةً، التي هي برأي الرَّسُول يُوحَنَّا، ينبَغي أن تُقنِعَنا أنَّ يسُوعَ هُوَ المسيح، إبن الله.

بالإختِصار، من هُوَ يسُوعُ في الإصحاحِ الثَّانِي من إنجيل يُوحَنَّا؟ في الإصحاحِ الثَّانِي من هذا الإنجيل، يسُوعُ هُوَ ذلكَ الشخص الذي يستَطيعُ أن يُحَوِّلَ الماءَ خمراً. بإمكانِكَ أن تأتِيَ إلى يسُوع بمشاكِلِكَ، ويسُوع يستَطيعُ أن يحمِلَ مشاكِلَكَ، التي هي مثل المياه، ويُحَوِّلَها خمراً. بإمكانِكَ أن تأتِيَ إلى يسُوع بِكُلِّ ما لدَيكَ من ضَعفَاتٍ. فعندما تدعُو يسُوعَ إلى حياتِكَ، سوفَ يُحوِّلُ يسُوعُ ماءَ ضعفاتِكَ إلى خمرِ الفرحِ الحقيقيِّ.

تُوجدُ عِدَّةُ تطبيقاتٍ لهذه المُعجِزَة. فبإمكانِكُم أيضاً تطبيقُ هذه القِصَّة على وعظٍ وتعليمِ كلمَةِ الله. أحدُ أساتِذَةِ الكتابِ المُقدَّس المُفضَّلينَ عندي، Dr. J. Vernon McGee، شاركَ معنا كطُلاب لاهُوت يافِعينَ في العام ١٩٥٢، أنَّهُ بينما كان يَعِظُ لحوالي أربَعة آلاف شخص كُلّ يوم أحد، يَقُولُ: "أحياناً كانت لديَّ رِسالَةٌ كُنتُ أُؤمِنُ أنَّ اللهَ وضعها على فَمي. ولكن بِصَراحةٍ، أحياناً كانت هذه الرِّسالَة ضعيفَةً جداً، وكأنَّها أشبَهُ بالماء. ولكنَّ اللهَ كانَ يَقُولُ لي: أعطِ هذه الرِّسالة، وأنا سأُعطيها لِقُلُوبِ النَّاس. وفي مكانٍ ما بينَ المنبَرِ والمقعد، كانَ اللهُ يلمُسُ العِظَة، وكانَت هذه العظة الأشبَه بالماء تتحوَّلُ إلى خَمر. لستُ أدري كيفَ يعمَلُ اللهُ هذا الأمر، ولكنَّهُ يعمَلُهُ."

وكانَ الدُّكتُور ماغِّي يقُولُ لنا كوُعَّاظٍ يافِعينَ طَمُوحِين، "عندما يُعطِيكَ اللهُ رِسالَةً أو عِظَةً، ألقِها أمامَ النَّاس. قد تَظُنُّ أنَّها مُجَرَّدُ ماء، ولكنْ ألقِ هذه العِظة، وأوصِلْها إلى قُلوبِ الناس. وبينما تُوزِّعُ هذه الماء، ففي مكانٍ ما بينَ المنبَرِ والمقعد، سوفَ يلمُسُ اللهُ هذه الرِّسالَة وسيُحَوِّلُها خمراً." منذُ العام ١٩٥٢، وجدتُ أنَّ هذا الأمرَ صحيح. في الإصحاحِ الثَّانِي من إنجيلِ يُوحَنَّا، يسُوعُ هُوَ الشَّخصُ الذي بإمكانِهِ أن يُحَوِّلَ المياهَ بمُختَلَفِ أنواعِها إلى خَمرٍ مُفرِحَة.

ما هُوَ الإيمانُ في الإصحاحِ الثَّانِي؟ الإيمانُ هُوَ إتِّباعُ هذه الخُطُواتِ للولادَةِ الجديدة أو للنهضَة: كُنْ صادِقاً معَ اللهِ وإعتَرِفْ أنَّهُ ليسَ لدَيكَ خَمرٌ. إعتَرِفْ أنَّكَ لم تُولَد ثانِيَةً، أو أنَّكَ لم تختَبِر فَرَحَ الرُّوح، وأنَّكَ تحتاجُ إلى نهضَةٍ. ثُمَّ، إملأْ إناءَكَ بكَلِمَةِ الله. إقضِ وقتاً كافِياً في قراءَةِ كلمةِ الله. ومهما قالَ لكَ اللهُ خلالَ قراءَتِكَ لكلمةِ الله، فذلكَ إفعَلْهُ. ثُمَّ شارِك نتائِجَ نهضَتِكَ الرُّوحيَّة الشَّخصِيَّة معَ أشخاصٍ آخرين. شارِكْ كَلِمَةَ اللهِ وفرحَكَ الذي إكتَشَفتَهُ من جديد في إطارِ علاقاتِكَ معَ كُلِّ النَّاس الذين تلتَقيهِم في حياتِكَ، بحسبَ تدبيرِ العنايَةِ الإلهيَّة.

وما هي الحياةُ في الإصحاحِ الثَّانِي من إنجيلِ يُوحَنَّا؟ الحياةُ هي أن تُولَدَ من جديد. يُخبِرُنا يُوحَنَّا بِعِدَّةِ طُرُقٍ جميلة، في الكَثيرِ من هذه الإصحاحات، أنَّ الحياةَ هي الولادة الثَّانِيَة. في هذا الإصحاح، الحياةُ هي إختِبارُ تحويلِ مائِكَ إلى خَمر. الحياةُ هي كُلُّ ما ينتُجُ عن دُخُول علاقَةِ إيمانٍ معَ يسُوع المسيح، حيثُ تكُونُ قد قُمتَ بإتِّخاذِ إلتزامٍ بالمسيح، وحيثُ

يكُونُ هُوَ أيضاً قدِ إلتَزَمَ بكَ. ومعرِفَةُ أنَّ المسيح قد أعطاكَ كُلَّ ما هُوَ وكُلَّ ما لدَيهِ، ينبَغي أن تمنَحَكَ هذه المعرِفَةُ نوعِيَّةَ حياةٍ مُمَيَّزَة. فالحياةُ هي أيضاً أن يتطهَّرَ هيكَلُكَ الشَّخصِيّ، عندما تتطلَّبُ الخطيَّةُ مثلَ هذا التَّطهير.

الفَصلُ السَّادِس

"ينبَغي أن تُولَدُوا من فَوق"

الإصحاحُ الثالِثُ هُوَ الأكثَرُ شعبِيَّةً في إنجيلِ يُوحَنَّا. إنَّهُ الإصحاحُ الذي يُسَجِّلُ لِقاءَ يسُوع معَ مُعلِّمٍ للنَّامُوس إسمُهُ نِيقُوديمُوس. بينما ندرُسُ هذا الإصحاح معاً، إقرأُوهُ في إطَارِ كونِ يُوحنَّا يُخبِرُنا بما سيَقُولهُ لنا. ففي مُقدِّمَتِهِ، كتبَ يُوحَنَّا ما معناهُ: "هذا ما سأُخبِرُكُم بهِ. عندما آمنَ النَّاسُ بِيَسُوع، كانُوا يُولَدُونَ ثانِيَةً." في الإصحاحِ الثَّانِي، مجازِيَّاً، أخبَرنا يُوحَنَّا كيفَ صوَّرَ يسُوعُ الولادَةَ الثَّانِيَة مجازِيَّاً، عندما أنجزَ مُعجِزَتَهُ الأُولى.

في الإصحاحاتِ الثَّالِث والرَّابع والخامِس، سيُعطينا يُوحَنَّا أمثِلَةً عن أشخاصٍ وُلِدُوا ثانِيَةً. الأوَّلُ هُوَ مُعَلِّمُ النَّامُوس نيقُوديمُوس. يَقُولُ النَّصُّ في اللُّغَةِ الأصليَّة، أنَّهُ كانَ رجُلاً مشهُوراً ومُعَلِّماً مُحتَرَماً في أُورشليم في ذلكَ الزَّمان (٣: ١٠). يُخبِرُنا التَّقليدُ أنَّ نيقُوديمُوس كانَ أخي يُوسِيفُوس، المُؤرِّخ اليَهُوديّ الشَّهير.

رُغمَ أنَّنا لا نقرَأُ في الإصحاحِ الثَّالِثِ أنَّ نيقُوديمُوس كانَ مَولُوداً ثانِيَةً، ولكنَّنا سنقرَأُ عنهُ ثانِيَةً في إنجيلِ يُوحنَّا. تقريباً في مُنتَصَفِ إنجيلِ يُوحَنَّا، نقرَأُ أنَّ نيقُوديمُوس دافَعَ عن يسُوع أمامَ السَّنهَدريم، وحوالي نهايَة إنجيلِ يُوحَنَّا، نقرأُ أنَّ نيقوديمُوس شارَكَ بِشجاعَةٍ بدَفنِ يسُوع (٧: ٥٠؛ و١٩: ٣٩). هُنا يتدخَّلُ التَّقليدُ لِيُخبِرَنا أنَّ نيقُوديمُوس كانَ قد إختَبَرَ التَّجديد والولادَةِ الثَّانِيَة في هذه المرحلة، ولقد تحمَّلَ بِفَرحٍ خسارَةَ كُلّ ما لديهِ من أجلِ المسيح.

جاءَ نيقُوديمُوس إلى يسُوعَ ليلاً، وفتحَ معَهُ حواراً بشكلٍ مُثيرٍ للعَجَب، داعِياً إيَّاهُ: "أيُّها المُعلِّمُ، أو الرَّابِّي." وهذا أمرٌ جديرٌ بالمُلاحَظة. علينا أن نتذَكَّرَ أنَّهُ بالمعنَى الإنسانيّ، كانَ يسُوعُ نجَّاراً ولكن ذا سُمعَةٍ ليسَت رَفيعَة، لكَونِهِ منَ النَّاصِرَة، ورُغمَ ذلكَ نجدُ هُنا مُعَلِّماً عَظيماً للنَّامُوس في إسرائيل، يدعُو يسُوعَ "رابِّي أو مُعَلِّم" ويَقُولُ لهُ، "نحنُ نعلَمُ

أنَّكَ أتيتَ مِنَ اللهِ مُعَلِّماً، لأنْ ليسَ أحدٌ يَقدِرُ أن يعمَلَ هذه الآيات التي أنَ تعمَلُ، إن لَم يكُنِ اللهُ معَهُ." مِنَ المُثيرِ للإهتمامِ أنَّ نيقُوديمُوس هُوَ الذي أتى إلى يسُوع. نحنُ نُشَدِّدُ كثيراً على كَونِهِ جاءَ إلى يسُوع ليلاً. ولكن لَرُبَّما جاءَ ليلاً لأنَّهُ كانَ يعمَلُ بِجَدٍّ طوالَ النَّهار، أو لأنَّهُ لم يُرِدْ أن يعرِفَ أحَدٌ أنَّهُ جاءَ لِيَرَى يسُوع.

التَّفسيرُ المُهِمُّ لمجيءِ نيقُوديمُوس لِيَرَى يسُوع، هي أنَّهُ كانَ مُعجَباً بالأمُورِ التي رأى يسُوعَ يعمَلُها. ومِنَ الواضِحِ أنَّهُ كانَ مُهتَمّاً أن يعرِفَ ماذا كانَ لدى يسُوع لِيَقُولَهُ. نحنُ نَخدَعُ أنفُسَنا إذا ظَنَنَّا أنَّ الأمرَ مُختَلِفٌ اليوم. فالنَّاسُ يرغَبُونَ بأن يسمَعُوا ما لدينا لِنَقُولَهُ، فقط عندما يُعجَبُونَ بما نعمَلُهُ.

تَذَكَّرُوا أنَّ يسُوعَ يَضَعُ تشديداً كبيراً على الأداء أكثر ممَّا يضَعُهُ على الإعتِراف. هُنا بإمكانِنا أن نرى ثِمارَ هذهِ الفَلسفَة. قالَ أحدُهُم، "الذي نُؤمِنُ بهِ بالفِعل، فذلكَ نعمَلُهُ. وكُلُّ ما عدا ذلكَ هُوَ مُجَرَّدُ كلامٍ دينيٍّ." فقط بِسَبَبِ كَونِ مُعَلِّمِ النَّامُوس الشَّهير قد أُعجِبَ بما رأى يسُوعَ يعمَلُهُ، فقط بِسَبَبِ ذلكَ أرادَ أن يسمَعَ كلامَ يسُوع الدِّينيّ. فقط عندما يُعجَبُ النَّاسُ بما يَرَونَنا نَعمَلُ، عندهَا سيهتَمُّونَ بكلامِنا الدِّينيّ.

بِهذهِ الطَّريقَة بدأَ هذا الحوارُ المُربِك. عندما قدَّمَ نيقُوديمُوس تصريحاً صادَقَ على هُوِيَّةِ يسُوع، عندَها فُتِحَ البابُ أمامَ يسُوع لِيُشارِكَ بحدِيثِهِ الدِّينِيّ: "الحَقَّ الحَقَّ أقُولُ لكُم. إن كانَ أحدٌ لا يُولَدُ من فَوق، لا يَقدِرُ أن يرَى ملكُوتَ الله. إن كانَ أحدٌ لا يُولَدُ مِنَ الماءِ والرُّوح، لا يَقدِرُ أن يدخُلَ ملكوتَ الله. المَولُودُ مِنَ الجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، والمَولُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لا تَتَعجَّبْ أنِّي قُلتُ لكَ ينبَغي أن تُولَدُوا من فَوق."

هذه الكَلِماتُ تَجعَلُ مِنَ الإصحاحِ الثَّالِث من إنجيلِ يُوحَنَّا "إصحاحَ الولادَةِ الجَديدة." مُولُودٌ من جَديد! ماذا يعني هذا؟ بينما نقتَرِبُ من مَوضُوعِ الولادَةِ الجديدة، أوَّلاً علينا أن نطرَحَ السُّؤال: "ما هُوَ القَصدُ من الوِلادَةِ الجديدة؟" لاحِظُوا أنَّ يسُوعَ لا يُعَلِّمُ أنَّ الولادَةَ الجديدة هي غايَةٌ بِحَدِّ ذاتِها. فالوِلادَةُ الجديدة هي وسيلَةٌ تُؤَدِّي إلى غايَة، بحَسَبِ يسُوع. فيسُوعُ لا يَقُولُ فقط، "ينبَغي أن تُولَدُوا من فَوق." بل ويَقُولُ أيضاً لنا لماذا علينا أن نُولَدَ ثانِيَةً.

ينبَغي أن نُولَدَ ثانِيَةً، لأنَّنا لا نستطيعُ أن نرى ملكُوتَ اللهِ ولا أن ندخُلَ ملكُوتَ اللهِ إلا إذا وُلِدنا ثانِيَةً. فكَما تَرَون، الحقيقَةُ الأساسيَّةُ هُنا هي ملكُوتُ الله، وليس الولادَة الجديدة. فمَلَكُوتُ اللهِ هُوَ الغايَة؛ أمَّا الولادةُ الجديدة فما هِيَ إلا وَسيلَةٌ تُؤَدِّي إلى الغايَة التي هي ملكُوتُ الله.

فبالنِّسبَةِ ليسُوع، ينبَغي علينا أن نُولَدَ ثانِيَةً، لأنَّ المَولُودَ منَ الجَسَدِ هُوَ مُجَرَّدُ جَسد. عندما يستَخدِمُ الكتابُ المُقدَّسُ كَلِمَة "جسد"، فهُوَ يعني، "الطبيعة الإنسانيَّة، بدُونِ مُساعَدَةِ الله." فوِلادَتُنا الجسديَّة جعَلَت منَّا مُجَرَّدَ مخلُوقاتٍ جسديَّة. وبإمكانِنا القَول أنَّ يسُوعَ كانَ يُعَلِّمُ ما معناهُ أنَّ الوِلادَةَ الجسديَّة جعلَت منَّا حيواناتٍ ناطِقَة. ولكن إذا أرَدنا أن نَكُونَ خلائِقَ رُوحيَّة، فعَلَينا أن نُولَدَ ولادَةً رُوحيَّة.

ما هُوَ ملكُوتُ الله؟ تعلَّمنا الجوابَ على هذا السُّؤال عندما درَسنا العهدَ القَديم والمَوعِظَة على الجَبَل (متَّى ٥- ٧). ملَكُوتُ اللهِ هُوَ المجالُ الذي يملُكُ اللهُ فيهِ. والحقيقَةُ هي بِبَساطَةٍ التَّالِيَة: اللهُ مَلِكٌ، ولديهِ مجالٌ يملِكُ عليهِ. فإن كانَ اللهُ يملِكُ عليكَ، فأنتَ إذاً جزءٌ منَ ملكُوتِهِ. وإن كُنتَ من رعاياهُ المُخلِصين، وإن كانَ هُوَ مَلِكُ المُلُوكِ ورَبُّ الأربَاب، عندَها تَكُونُ قد رأَيتَ ملكُوتَ اللهِ وتكُونُ قد دَخَلتَهُ.

يعتَقِدُ الكَثيرُونَ أنَّ ملكُوتَ اللهِ هُوَ السماءُ بعدَ الموت. وتفسيرُهُم لكَلِماتِ يسُوع في لقائِهِ معَ نيقُودِيمُوس هو، "لن تَدخُلُوا أبداً السماءَ عندما تَمُوتُون إلا إذا وُلِدتُم من جديد." ولكِنَّني مُقتَنِعٌ أنْ ليسَ هذا ما قَصَدَهُ يسُوعُ عندما نطقَ بهذه الكلمات المألُوفَة.

بل كانَ جَوهَرُ ما قالَهُ يسُوعُ لِنِيقُودِيمُوس هُوَ التَّالِي: "لن تَرَ أبداً حقيقَةَ كَونِ اللهِ يُريدُ أن يَكُونَ مَلِكَكَ، إلاَّ أو حتَّى تُولَدَ من جديد، ولن تدخُلَ أبداً ذلكَ النَّوع منَ العلاقَةِ معَ اللهِ إلا أو حتَّى تُولَدَ من جديد. ولكن، عندَما تُولَدُ من جديد، سوفَ ترى اللهَ مَلِكاً لكَ، وسوفَ تدخُلُ ذلكَ النَّوع منَ العلاقَةِ معَ الله – ليسَ عندما تَمُوت – ولكن الآن فوراً!" فبالنِّسبَةِ ليسُوع، أوَّلُ نتيجَةٍ للولادَةِ من جديد هي أن نعتَرِفَ كما إعتَرَفَ تُوما قائلاً ليسُوع المُقام منَ الأموات، "رَبِّي وإلهِي!" (يُوحَنَّا ٢٠: ٢٨)

لقد كانَ الرَّسُولُ بُولُس يُعَلِّمُ الحقيقَةَ ذاتَها عندَما أعلَنَ أنَّهُ لا يقدِرُ أحدٌ أن يَقُولَ أنَّ يسُوعَ رَبٌّ إلا بالرُّوحِ القُدُس (١كُورنثُوس ١٢: ٣). في العهدِ

الجديد، يرى المُؤمِنُونَ ملكُوتَ اللهِ ويدخُلُونَهُ، عندما يدعُونَ يسُوع رَبَّاً ومُخَلِّصاً. ونحنُ سوف نرى وندخُلُ علاقَةَ المَلَكُوت هذه معَ يسُوع، عندَما نُولَدُ من جديد. أوَّلُ نتيجَةٍ لِمُعجِزَةِ كَونِنا وُلِدنا من جديد، ستَكُونُ أنَّ المسيحَ سيَكُونُ بالواقِعِ والفِعل رَبَّنا ومَلِكَنا.

منذُ عدَّةِ سنواتٍ، أخذتُ بعضَ شيُوخِ الكنيسةِ التي كُنتُ أرعاها إلى خُلوَةٍ رُوحيَّة. وطلبتُ منهُم أن يتأمَّلُوا بِسُؤالَين وأن يُجيبُوا عليهِما كِتابَةً. السُّؤالُ الأوَّلُ الذي طرحتُهُ كانَ: بِناءً على تعليمِ يسُوع في النِّصفِ الثَّانِي من الإصحاحِ السَّادِس من إنجيلِ متَّى، ماذا ينبَغي أن تَكُونَ أولويَّاتُكُم؟ السُّؤالُ الثَّانِي كانَ: بِناءً على كيفَ تصرِفُونَ وقتَكُم، مالَكُم، طاقَتَكُم، وعواطِفَكُم، وكُلَّ الأشياء التي تُشَكِّلُ جَوهَرَ حياتِكُم، ما هي أولويَّاتُكم حرفِيَّاً؟

بينما كانُوا يُجيبُونَ على هذينِ السُّؤالَين، شجَّعتُهُم أن يكُونُوا صادِقينَ – ولقد كانُوا صادِقينَ جداً. كُنتُ أنا من أسَّسَ هذه الكنيسة، ومُعظَمُهُم كانُوا يحضُرُونَ لعدَّةِ سنواتٍ. وكانُوا قد سَمِعُوا تعليمِي أكثَرَ من مَرَّة. ولقد صُدِمتُ عندما قالَ أحَدُهم، "للمرَّةِ الأُولى في حياتِي أرى أنَّ يسُوعَ قالَ أنَّهُ يُريدُ أن يَكُونَ أوَّلَ أولَويَّاتِي. وأنَّ ملكُوتَ اللهِ ينبَغي أن يَكُونَ أوَّلَ أولويَّاتِي. فهذا ما يُعَلِّمُ بهِ يسُوعُ بِوُضُوحٍ هُنا. ولكنَّني لم أرَ هذه الحقيقَةَ من قَبل." ثُمَّ قالَ خلالَ إجابَتِهِ على السُّؤالِ الثَّانِي، "بناءً على طريقَةِ عَيشِي، لأَكُونَ صريحاً تماماً، أهَمُّ أمرٍ في حياتِي هُوَ أنا، زوجَتي، طِفلي، تقاعُدِي، وأمانِي – وما شابَهَ ذلكَ. أتساءَلُ ما إذا كانَ لِيَسُوع أيُّ مكانٍ في أولويَّاتِي."

وعندما كانُوا جميعاً قد أجابُوا على أسئِلَتي بطريقَةٍ مُشابِهَة، شارَكتُهُم ببضعَةِ أعدادٍ من الإصحاحِ الثَّالِث من إنجيلِ يُوحَنَّا. ثُمَّ قُلتُ، "قالَ يسُوع، عندَما تُولَدُونَ من جديد، سوفَ ترَونَ أنَّ اللهَ ينبَغي أن يَكُونَ مَلِكَكُم. فَعِندما تُولَدُونَ من جديد، سوفَ تدخُلُونَ في علاقَةٍ معَ اللهِ، حيثُ يَكُونُ اللهُ بالحقيقَةِ وبالفعلِ مَلِكَكُم." هذا لا يعني أنَّهُ سيحظَى دائماً بالمكانَةِ الأُولى في حياتِكُم، الأمرُ الذي كانَ سيجعَلُ منكُم كامِلين، ولكنَّ هذا يعني أنَّكُم ستَكُونُونَ على الأقَلِّ قد رأيتُم ودخَلتُم في علاقَةٍ معَهُ.

كانت هذه كنيسة إنجيليَّة، حيثُ إعتَرَفَ كُلُّ واحِدٍ أنَّهُ مَولُودٌ ثانِيَةً عندما إنضَمَّ إلى الكنيسة. فقُلتُ لهؤُلاءِ الشُّيُوخ، "كَثيرُونَ منكُم قالُوا أنَّهُم لم يرُوا حقيقة المَلَكُوتِ من قَبل، وكثيرُونَ منكُم كانُوا صادِقينَ ليقُولُوا أنَّهُم لم يدخُلُوا بعدُ في هذا النَّوع من العلاقة مع الله، حيثُ يكُونُ هُوَ مَلِكَكُم، والأولويَّة الأُولى في حياتِكُم – وقِمَّةُ أَولَوِيَّاتِ أهدافِكُم. فإن لم تروا ملكُوتَ الله في هذا الإطار، وإن لم تدخُلُوا إلى ملكُوتِ اللهِ، الأمرانِ اللذانِ يُشَكِّلانِ أوَّلَ بُرهانَينِ للولادَةِ الثَّانِيَة، فأيُّ حقٍّ لكُم أن تدَّعُوا أنَّكُم مَولُودِينَ ثانِيَةً؟"

عندما شارَكَ يسُوعُ بكلامِهِ الدِّينيّ معَ عُضُو السَّنهَدريم نيقُوديمُوس، سألَهُ هذا الأخير سُؤالاً مرَّتَين. وكانَ سُؤالُهُ، "كَيفَ؟ كيفَ يُمكِنُ للإنسانِ أن يُولَدَ ثانِيَةً؟ كيفَ يُمكِنُ للإنسانِ وهُوَ شَيخٌ أن يُولَدَ ثانِيَةً؟ أَلَعَلَّهُ يدخُلُ بطنَ أُمِّهِ ثانِيَةً ويُولَدُ؟" يبدُو أنَّ يسُوع إنزَعَجَ من هذا السُّؤال. وأجابَهُ يسُوعُ بما معناهُ، "ها أنتَ مُعَلِّمٌ مشهُورٌ في إسرائيل. ولقد إستَخدمتُ أمامَكَ إيضاحاً عادِيَّاً عامِّيَّاً أرضِيَّاً، ولم تفهَمْهُ. فماذا ستفعَلُ إن أخبَرتُكَ بأُمُورٍ رُوحيَّةٍ، مثلَ التَّالِية: وليسَ أحدٌ صَعِدَ إلى السَّماء، إلا الذي نزلَ منَ السَّماء، إبنُ الإنسان الذي هُوَ في السَّماء."

بينما كانَ يسُوعُ يَقُولُ هذا، أعتَقِدُ أنَّهُ كانَ ينظُرُ إلى عَينَي نيقُوديمُوس. كانَ يسُوعُ يَقُولُ لمُعَلِّمِ النَّامُوس المُمَيَّز هذا، أنَّهُ هُوَ بِنفسِهِ كانَ في السَّماءِ في نفسِ الوقتِ الذي كانَ يقِفُ أمامَهُ ويتكلَّمُ معَهُ. وعندما قدَّمَ يسُوعُ هذا التَّصريح، لم يتجرَّأْ نيقُوديمُوس ولا حتَّى بأن يسألَ، "كيف؟"

ثُمَّ، وبِهَدَفِ التفسيرِ والتَّلخيص، ذَكَّرَ يسُوعُ نيقُوديمُوس بِقِصَّةٍ مُسَجَّلَةٍ في سفرِ العدد. كانَ بنُو إسرائيل في البَرِّيَّة، وكانُوا يتذَمَّرُون. وبما أنَّ اللهَ يكرَهُ التَّذَمُّر (عدد ١٤: ٢٦- ٣١، فيلبِّي ٢: ١٤)، أرسَلَ اللهُ حيَّاتٍ لتَلسَعَ المُتَذَمِّرين. ثُمَّ أرسَلَ اللهُ رسالَةَ رَحمَة، إذ أمرَ مُوسى بإقامَةِ حَيَّةٍ نُحاسِيَّةٍ كعمودٍ في وسطِ المحلَّة. وأُعلِنَت رِسالَةُ الرَّحمَةِ لِكُلِّ من لسَعَتْهُ الحيَّة: "إن كانَ بإمكانِكَ أن تزحَفَ أو تجعَلَ أحداً يحمِلَكَ إلى وسطِ المحلَّة، حيثُ تتطلَّعُ إلى الحيَّةِ النُّحاسِيَّةِ، سوفَ تشفَى من لَسعَةِ الحيَّة." (عدد ٢١)

قالَ بعضُهُم، "إنَّ مُجَرَّدَ النَّظَرِ إلى قِطعَةٍ منَ النُّحاس لن تشفِيَني من لَسعَةِ أفعَى." وهكذا ماتَ هؤُلاء بِلَسعاتِ الأفاعِي. ولكن قالَ آخرُون، "بالحقيقَةِ لا نفهَمُ كيفَ يُمكِنُ لمُجَرَّدِ النَّظَرِ إلى الحيَّةِ النُّحاسِيَّةِ أن يشفِيَ من

لَسعاتِ الأفاعي،ولكنَّ هذا هُوَ أملَنُا الوحيد." فتدبَّرُوا أحداً لِيَنقُلَهُم أو لِيَجُرَّهُم، أو زحفُوا بأنفُسِهم إلى وسطِ المحلَّة، ونَظَرُوا إلى تلكَ الحَيَّةِ النُّحاسِيَّة. وشُفِيُوا من لَسعاتِ الأفاعي بمُجرَّدِ نظَرِهم إليها بإيمانٍ."

تُشَكِّلُ هذه مُجَرَّدَ مُعجِزَةٍ واحِدَةٍ من مُعجِزاتِ العهدِ القَديم المُتعدِّدَة، إلى أن نقرَأَ الإصحاحِ الثَّالِث من هذا الإنجيل. في هذه المَرحَلَة في حوارِهِ معَ نيقُوديمُوس، قدَّمَ يسُوعُ أكثَرَ تصريحٍ عقائِديٍّ سجَّلَهُ كُتَّابُ الأناجيلِ الأربَعَة (يُوحَنَّا ٣: ١٤- ٢١). ولِكَي نُفَسِّرَ ونُلَخِّصَ، يُخبِرُنا هذا المُعَلِّمُ العظيمُ قائِلاً: "ينبَغي أن أُرفَعَ (أُصلَبَ) على الصَّليب. ينبَغي أن أُرفَعَ على الصَّليب، لأنَّني إبنُ اللهِ الوَحيد. وكإبنِ اللهِ الوحيد، بِمَوتِي على الصَّليب سأُصبِحُ حَلَّ اللهِ الوحيد لمُشكِلَةِ الخَطيَّة، لأنَّني المُخَلِّصُ الوحيدُ من الخطيَّة. عندما سأُرفَعُ على ذلكَ الصَّليب، إن كانَ النَّاسُ سيَنظُرُونَ إليَّ بإيمانٍ وأنا مُعَلَّقٌ على الصَّليب، تماماً كما كانَ يُشفَى أُولئكَ الذين لدغتهُمُ الحَيَّاتُ بمُجَرَّدِ نظَرِهِم إلى الحيَّةِ النُّحاسِيَّة، كذلكَ أيضاً فإنَّ الذين ينظرونَ بِعَينِ الإيمان إليَّ وأنا مُعَلَّقٌ على الصَّليب، سوفَ يُشفَونَ من مُشكِلَةِ الخطيَّة. وسوفَ يُصبِحُونَ مُقدَّسِين، وسوفَ يحصلُونَ على حياةٍ أبديَّةٍ خالِدَة."

بِحَسَبِ يُوحَنَّا المعمدان، كانَ يسُوعُ المسيحُ اللهُ-الإنسان حملَ اللهِ الذي جاءَ إلى العالم لِيَنزِعَ خطايا العالم. وهُنا نتعلَّمُ من يسُوع أنَّهُ كانَ سيَجِدُ حَلاً لِمُشكِلَةِ الخَطيَّة بمَوتِهِ على الصَّليب بدلاً عنَّا جميعاً. ولقد أوضَحَ يسُوعُ هذا الأمر تماماً عندما قالَ لِنِيقُوديمُوس: "هكذا أحَبَّ اللهُ العالم حتَّى بذلكَ إبنَهُ الوحيد، لِكَي لا يَهلِكَ كُلُّ من يُؤمِنُ بهِ، بل تَكُونُ لهُ الحياةُ الأبديَّة." (يُوحَنَّا ٣: ١٦)

كانَ هذا جَوهَر ما أجابَ بهِ يسُوعُ على سُؤالِ نيقُوديمُوس لهُ، "كيفَ يكُونُ ذلكَ؟" فبِمعنىً ما، كانَ جوابُ يسُوع على سُؤالِ نيقوديمُوس "كيف؟" بكلمَةٍ واحِدَة هي، "آمِنْ." ماذا يعني أن نُؤمِنَ؟ وكما أشَرتُ سابِقاً، في كُلِّ إصحاحاتِ إنجيلِهِ، يُخبِرُنا يُوحَنَّا ويُظهِرُ لنا ماذا يعني أن نُؤمِنَ. في هذا الإصحاح، نجِدُ الإيمانَ مُوضَّحاً ومُفَسَّراً بأُولئكَ الأشخاصِ الذينَ كانُوا ينظُرُونَ إلى الحيَّةِ النُّحاسِيَّةِ ويُشفَونَ من لَسعاتِ الأفاعي.

وبطريقَةٍ ما، بمُجَرَّدِ فعلِ الإيمان، ننظُرُ أنا وأنتَ إلى يسُوع على صَليبِهِ ونَقُولُ لله، "أنا أُؤمِنُ أنَّ يسُوعَ هُوَ إبنُكَ الوحيد؛ وأنا أُؤمِنُ أنَّ يسُوعَ

هُوَ حَلُّكَ الوحيد لمُشكِلَةِ الخطيَّة، ويسُوع هُوَ المُخَلِّصُ الوحيدُ الذي أرسَلتَهُ. وها أنا الآن أُؤمِنُ بإبنِكَ ليَكُونَ مُخَلِّصِي الشَّخصِيَّ."

لقد كانَ يسُوعُ يَقُولُ لِنيقُودِيمُوس، ولكَ ولي، أنَّ كُلَّ من يُؤمِنُ يُمكِنُهُ أن يُولَدَ من جديد. وإن كانَ لنا دَورٌ في الولادَةِ الثَّانِيَة، فإنَّ دَورَنا في هذه المُعجِزة هُوَ أن نُؤمِنَ. وهذا بَسيطٌ لِلغَايَة. دَورُنا هُوَ أن نُؤمِنَ أنَّ المسيح ماتَ على الصَّليب من أجلِ خَطايانا.

أمَّا دَورُ اللهِ في الولادةِ الجديدةَ، فَهُوَ بُعدٌ لن يَكُونَ بإمكانِنا أبداً أن نفهَمَهُ. فأنتَ لم يتوجَّبْ عليكَ أن تفهَمَ عمليَّةَ الولادَةِ الجسديَّة لكَي تتمكَّنَ من أن تُولَدَ في هذا العالم. بل كُنتَ غيرَ قادِرٍ على أن تعمَلَ شَيئاً حِيالَ ولادَتِكَ الجَسَدِيَّة. فأنتَ وُلِدتَ بِكُلِّ بَساطَةٍ. علَّمَ يسُوعُ أنَّهُ ينبَغي أن نُولَدَ منَ الرُّوح. ولكنَّهُ لم يُعَلِّمْ أنَّهُ يتوجَّبُ علينا أن نَلِدَ أنفُسَنا رُوحيَّاً. بل علينا أن نُلَبِّيَ بعضَ الشُّرُوط؛ علينا أن نَقُومَ بما علينا، أي أن نُؤمِنَ، وعندَها سيَقُومُ اللهُ بِدَورِهِ. اللهُ سيُعطينا حياةً أبديَّةً خالِدَة من خلالِ إختِبارِ الولادَةِ الجديدة.

شَبَّهَ يسُوعُ دورَ اللهِ في الولادَةِ الجديدة بالرِّيح. فنحنُ نسمَعُ صوتَ الرِّيح، ولكنَّنا لا نراهُ. عندما يحدُثُ إعصارٌ كبير، يَكُونُ خُبراءُ الطَّقسِ أوَّلُ من يُوافِقُ أنَّهُ ليسَ بإمكانِنا أن نتنبَّأَ بالمكانِ الذي سيَضرِبُهُ رِيحُ الإعصارِ في المرحلَةِ المُقبِلَة. وهكذا قدَّمَ يسُوعُ هذه الإستِعارَة المجازِيَّة، ثُمَّ أعلَنَ قائِلاً، "هكذا كُلُّ من وُلِدَ منَ الرُّوح." لن نفهَمَ أبداً دورَ اللهِ في الولادَةِ الجديد، ولن يَكُونَ علينا أن نفهَمَ دورَ اللهِ لكي نُولَدَ ثانِيَةً. فدَورُنا كانَ بَسيطاً جداً. ولقد لخَّصَ يسُوعُ دورَنا بِكلِمَةٍ واحِدَة: "آمِنْ."

هذه الأعدادُ التي فَسَّرتُها ولخَّصتُها، أصبَحَت أكثرَ تصريحٍ عقائِديٍّ يُقدِّمُهُ يسُوعُ، عندما قالَ لنيقوديمُوس أنَّ كُلَّ من يُؤمِنُ بما قالَهُ عن معنَى موتِهِ على الصَّليب لن يُدانَ، بل ستَكُونُ لهُ الحياةُ الأبديَّة. ومن لا يُؤمِنُ يُدَن، ليسَ بِسَبَبِ خطاياهُ، بَل لأنَّهُ لم يُؤمِنْ بما قالَهُ يسُوعُ عن مَعنَى مَوتِهِ على الصَّليب (يُوحَنَّا ٣: ١٦- ١٨). هذا هُوَ أكثَرُ تصريحٍ عقائِديٍّ يُقدِّمُهُ يسُوع.

بالإضافَةِ إلى كُلِّ ما شارَكتُ بِهِ عن هذا التَّعليمِ الذي قدَّمَهُ يسُوع، كانَ يَسُوعُ يَبعَثُ بِرسالَةٍ من خلالِ هذه العُضوِ المُمَيَّزِ في السِّنهَدريم، للقادَةِ

الدِّينيِّين للشعبِ اليَهُودي. وكانَ جَوهَرُ هذه الرِّسالَة: "ينبَغي أن تُولَدُوا مِن فَوق. ينبَغي أن تَبدَأُوا بِهذه الطريقة، وينبَغي أن تبدَأُوا معِي!"

الأسئِلَةُ الثَّلاث

من هُوَ يسُوعُ في الإصحاحِ الثَّالِثِ من إنجيلِ يُوحَنَّا؟ يسُوعُ هُوَ إبنُ اللهِ الوَحيد. يسُوعُ هُوَ حَلُّ اللهِ الوَحيد لمُشكِلَةِ الخَطيَّة. يسُوعُ هوَ المُخَلِّصُ الوحيدُ منَ الخطيَّة المُرسَل منَ الله. وليسَ لدى الله أيُّ حَلٍّ آخر، وليسَ لديهِ أيُّ مُخَلِّصٍ آخر، إلا إبنُهُ المَولُود الوحيد، يسُوع المسيح. هذا من هُوَ يسُوعُ في الإصحاحِ الثَّالِثِ من إنجيلِ يُوحَنَّا.

وما هُوَ الإيمانُ في هذا الإصحاح؟ الإيمانُ هُوَ "أُنظُرْ وعِشْ." تُوجَدُ ترنيمَةٌ مَبنِيَّةٌ على صُورَةِ الحيَّة النُّحاسيَّة المجازِيَّة، وعُنوانُهُ،"أُنظُرْ وعِشْ." تجدَّدَ تشارلز هادُّون سبُورْجِن، وهُوَ أحدُ أعظمِ الوُعَّاظِ الذين كَرَزُوا بالإنجيل عبرَ التَّاريخ، تجدَّدَ عندما كانت تُرَنَّمُ هذه الترنيمة. وبإيمانٍ بَسيط، رأى الحقيقَةَ أنَّ إنجيلَ يسُوع المسيح هُوَ بِبَساطَةٍ، "أُنظُرْ وعِشْ." هذا أيضاً هُوَ الإيمانُ في الإصحاحِ الثَّالِث من إنجيلِ يُوحَنَّا.

وما هِيَ الحياةُ في يُوحَنَّا ٣؟ الحياةُ هي أن نُولَدَ ثانِيَةً. تبدأُ الحياةُ عندما نُولَدُ من جديد، وعندما نرى ملكُوتَ اللهِ وندخُلُ ملكُوتَ الله. فالحياةُ هي أن نرى أنَّ اللهَ يُريدُ أن يَكُونَ مَلِكَنا. الحياةُ هيَ الدُّخُول في علاقَةٍ معَ اللهِ، حيثُ يكُونُ هُوَ بالحقيقَةِ مَلِكَنا.

أيُّها الصَّديقُ العزيز، أَختُمُ هذا الكُتَيِّب بطَرحي هذا السُّؤال عليكَ: هل سبقَ ونَظَرتَ إلى يسُوع كالحَلِّ الوَحيد لمُشكِلَةِ الخَطيَّةِ عندَكَ؟ وهل آمنتَ ليسَ فقط بِعقلكَ بل وأيضاً بقلبِكَ أنَّهُ ماتَ من أجلِ خطاياك؟ وهل وُلِدتَ ثانِيَةً؟ وهل رَأيتَهُ كَمَلِكِ حياتِكَ؟ إن كانَ جوابُكَ هُوَ بالنَّفي، أرجُو أن تقرأَ هذه الإصحاحاتِ الثَّلاثَة الأُولى من إنجيلِ يُوحَنَّا مُجَدَّداً، وأن تطلُبَ منَ اللهِ أن يُساعِدَكَ أن ترى ملكُوتَ اللهِ وأن تدخُلَهُ.

إن كُنتَ قد دَخَلتَ إلى ملكُوتِهِ، وإن كُنتَ تابِعاً للمسيح، أَحُضُّكَ على أن تُشارِكَ فرحَ خلاصِكَ معَ كُلِّ الذين يجعَلُكَ اللهُ تلتَقيهِم في حياتِكَ. وكما قالَت مريَمُ للخُدَّام، أحُضُّكَ على أن تَكُونَ مُطيعاً وأن تفعَلَ مهما قالَهُ لكَ يسُوع.

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل